

مُخاطراتُ أُمِّ مَازِنٍ

مُخاطراتُ أمِّ مازنٍ

تأليف
كامل كيلاني

صفحات

<http://www.safahat.org>

مُخَاطَرَاتُ أُمِّ مَازِنٍ

كامل كيلاني

موقع صفحات

جميع الحقوق محفوظة للناشر موقع صفحات
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن موقع صفحات غير مسئول عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ ٢٠٢ + فاكس: ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: safahat@safahat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.safahat.org

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لموقع صفحات.
جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Safahat.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

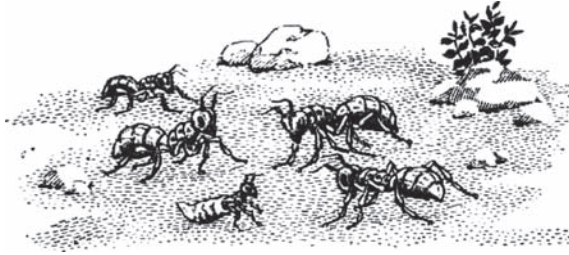
٧

٤٣

مُخَاطَرَاتُ أُمِّ مَازِنٍ
إِلْمَامَةُ بِالنَّمْلِ

مُخاطراتُ أمِّ مازِنٍ

(١) فاتِحَةُ الْقِصَّةِ



ما كانَ أَسْعَدَهُ يَوْمًا، وَأَبْهَجَهُ احتِفالًا، حينَ خَرَجَتْ «أُمُّ مازِنٍ» مِنْ لَفائِفِها، لِتَسْتَقْبِلَ الحِياةَ بِقَلْبٍ طَرُوبٍ، يَفِيضُ بِشُرا وَأَمَلًا، وَقَدْ التَفَّ حَوْلَها أَهلُها وَعَشيرَتُها الأَدْنَوْنَ، وَتَهاَفَتُوا إِلى رُؤيَها مُسرِعِينَ مِنْ أَقاصي القُريَّةِ، لِيشْتَرِكُوا في ذَلِكَ المَهِرْجَانِ البَهِيجِ.

وَكانَتْ «أُمُّ مازِنٍ» أَصْغَرَ المُولُوداتِ الَّتِي نَجَبَتْ وَتَرَعرَعَتْ في تِلْكَ القُريَّةِ، الحافِلَةِ بِأَهلِها مِنَ النَّمْلِ الأَسْوَدِ الرَّمادِيِّ.

وَقَدْ فَرِحَتْ ساكِناَتُ القُريَّةِ بِ«أُمِّ مازِنٍ» فَرَحًا عَظِيمًا. وَكانَتْ قَريَّةُ النَّمْلِ مُعْجَبَةً بِوَسامَةِ هَذِهِ المُولُودَةِ، فَرِحَةً بِما يَبْدُو عَلى سِماها مِنْ أَماراتِ النِّجابَةِ، مُؤمِّلَةً فيها أَحسَنَ تَأْمِيلٍ.

(٢) بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ

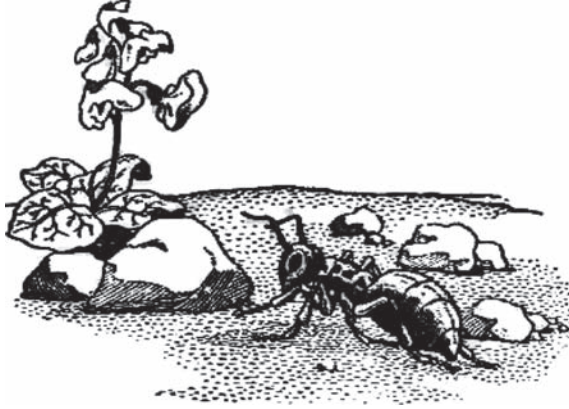
وَأَقْتَرَبَتْ مِنْهَا «بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ»، وَهِيَ أَكْبَرُ نِمَالِ الْقَرْيَةِ سِنًّا، وَأَكْثَرُهُنَّ تَجَرِبَةً، وَأَقْبَلَتْ عَلَى الطِّفْلِ النَّاشِئَةِ تُدَاعِبُهَا، قَائِلَةً: «يَا لَهَا مِنْ جَمِيلَةٍ فَاتِنَةٍ! لَقَدْ فَاقَتْ — عَلَى صِغَرِهَا — بَنَاتَ جِنْسِهَا: حُسْنًا وَمَلَاحَةً. فَلْنُطْلُقْ عَلَيْهَا مِنْذُ الْيَوْمِ: «أُمُّ مَارِزٍ»، وَلْنُنَادِهَا بِذَلِكَ، لِنُكْرِمَهَا بِهَذِهِ التَّكْنِيَةِ، وَنُمَيِّزَهَا عَنْ رَفِيقَاتِهَا مِنْ بَنَاتِ الْقَرْيَةِ.»

وَكَانَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» — كَأَخَوَاتِهَا جَمِيعًا مِنَ النَّمْلِ — مِثَالًا لِلنَّشَاطِ وَالْجِدِّ وَالْمُثَابَرَةِ، تَتَلَأَلُ فِي رَأْسِهَا الْجَمِيلِ عُيُونٌ خَمْسُ بَرَاقَةٍ، اثْنَتَانِ مِنْهَا كَبِيرَتَانِ عَلَى جَانِبَيْ رَأْسِهَا، وَثَلَاثُ صَغِيرَةٍ فِي وَسْطِ جَبْهَتِهَا.

وَلَنْ يَفُوتَنِي أَنْ أُحَدِّثَكُم عَنْ قَرْيَتِهَا الصَّغِيرَيْنِ النَّاتِيَتَيْنِ فِي رَأْسِهَا. وَلَعَلَّكُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ الْقُرُونَ لِلنَّمْلِ، كَالْيَدَيْنِ لِلْإِنْسَانِ؛ فَإِنَّ كُلًّا مِنْهَا يَصْلُحُ لِلْمِسِ الْأَشْيَاءِ.

(٣) فِي الطَّرِيقِ

وَحَرَجَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» مِنْ قَرْيَتِهَا، لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي حَيَاتِهَا. ثُمَّ سَارَتْ فِي طَرِيقِهَا — عَائِدَةً إِلَى بَيْتِهَا — بَعْدَ أَنْ أَتَمَّتْ نُزْهَتَهَا. وَمَا زَالَتْ تَمْشِي مُتَبَدِّدَةً، بِطَبِئَةِ السَّيْرِ فِي طَرِيقٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْحَصَى، وَهِيَ تَلْقَى فِي سَبِيلِهَا، مِنْ أَلْوَانِ التَّعَبِ وَالْعَنَاءِ، مَا لَا قَبْلَ لِعَْيَرِهَا بِاحْتِمَالِهِ.



وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صِغَارَ الْحَصَى الَّتِي كَانَتْ تَعْرِضُ «أُمَّ مَازِنَ» فِي طَرِيقِهَا
 هِيَ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — جِبَالٌ شَاهِقَةٌ بِالْقِيَاسِ عَلَيْهَا!
 انْظُرُوا إِلَيْهَا، وَهِيَ تَمْشِي جَادَّةً مُسْرِعَةً فِي سَبِيلِهَا، عَلَى قَدَرٍ مَا تَسْتَطِيعُ أَقْدَامُهَا
 النَّحِيفَةُ الْمُتَنَاهِيَةَ فِي الضَّالَّةِ. وَتَأَمَّلُوا: كَيْفَ تَلْمَسُ الْأَرْضَ بِأَحَدِ قَرْنَيْهَا، قَبْلَ أَنْ تَخْطُوَ
 خُطْوَةً وَاحِدَةً. فَهِيَ تَتَحَسَّسُ الْأَشْيَاءَ بِقَرْنِهَا الْيَمِينِ مَرَّةً، وَبِقَرْنِهَا الْأَيْسَرِ مَرَّةً أُخْرَى،
 مُسْتَهِينَةً بِكُلِّ مَا تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهَا مِنَ الْعَقَبَاتِ وَالْمَصَاعِبِ، مُتَقَدِّمَةً — فِي صَبْرٍ وَمُثَابَرَةٍ
 لَا مِثِيلَ لَهُمَا — حَتَّى تَبْلُغَ غَايَتَهَا، أَوْ تَمُوتَ دُونَهَا!
 وَكَانَتْ «أُمُّ مَازِنَ» تُحَدِّثُ نَفْسَهَا، قَائِلَةً: «يَا لَهَا مِنْ طَرِيقٍ مُتَعَبَةٍ شَاقَّةٍ! فَلَيْسَ
 يَخْلُو مَكَانٌ فِيهَا مِنْ حُفْرَةٍ، أَوْ هَاوِيَةٍ، أَوْ أُحْدُوْدٍ. وَلَيْسَ أَجْدَرُ مِنِّي بِالْأُنَاةِ وَالْحَذَرِ،
 حَتَّى أَعُودَ إِلَى قَرَيَّتِي سَالِمَةً!»
 وَلَقَدْ صَدَقَتْ «أُمُّ مَازِنَ» فِيمَا حَدَّثَتْ نَفْسَهَا بِهِ، فَقَدْ كَانَتْ الطَّرِيقُ الْوَعْرَةَ
 الْمَخُوفَةَ، تَتَطَلَّبُ مَهَارَةَ النَّمْلَةِ وَحَزْمَهَا، لِتَخْرُجَ مِنْهَا نَاجِيَةً مِنْ كُلِّ سُوءٍ، فَلَا تُكْسِرُ
 إِحْدَى أَرْجُلَيْهَا، وَلَا تُصَابُ بِأَيِّ عَطَبٍ.
 وَلَقَدْ أَصَابَ وَصَدَقَ مَنْ سَمَّاهَا: نَمْلَةً. فَهِيَ — فِي الْحَقِّ — كَثِيرَةُ التَّنَمُّلِ، دَائِبَةُ
 التَّحَرُّكِ. فَلَا عَجَبَ إِذَا أَطْلَقُوا عَلَيْهَا هَذَا الْأَسْمَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالنَّشَاطِ!

ها هُوَ ذَا جَبَلٍ تَتَسَلَّقُهُ «أُمُّ مَازِنَ»، جَادَّةٌ مُثَابِرَةٌ — عَلَى مَا نُحِسُّ بِهِ مِنْ تَعَبٍ
نَهَكَ قُوَاهَا، وَأَضْنَى جِسْمَهَا — حَتَّى تُدْرِكَ غَايَتَهَا.

(٤) الرَّفِيقَتَانِ

وَأِنَّهَا لَتَسِيرُ جَادَّةً، وَقَدْ بَلَغَ بِهَا الْإِعْيَاءُ كُلَّ مَبْلَغٍ، إِذْ لَمَحَتْ نَمْلَتَيْنِ — مِنْ بَنَاتِ جِنْسِهَا
— خَرَجَتَا مِنَ الْقَرْيَةِ لِلْإِحْتِطَابِ، وَقَدْ حَمَلَتَا فَرْعًا صَغِيرًا مِنْ فُرُوعِ النَّبَاتِ، وَهُمَا
عَائِدَتَانِ فِي طَرِيقِهِمَا إِلَى الْبَيْتِ.

وَلَقَدْ جَهَدَهُمَا حَمْلُ هَذَا الْفَرْعِ الصَّغِيرِ، وَقَدْ اعْتَزَمَتَا أَنْ تُصْلِحَا بِهِ إِحْدَى عُرْبِ
الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْهَارَتْ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْفَرْعُ — بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِمَا — كَأَنَّهُ جِذْعُ
شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ!

وَكَانَتِ الْحَاطِبَتَانِ تَبْذُلَانِ أَقْصَى جُهِدَيْهِمَا لِتَجْرَأَهُ، حَتَّى ضَعُفَتْ قُوَاهُمَا، وَتَعَذَّرَ
عَلَيْهِمَا أَنْ تَتَقَدَّمَا بِهِ خُطْوَةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَمَامِ. وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ — عَلَى
صَغَرِهِ — ثَقِيلًا، وَكَانَتِ الْأَرْضُ — الَّتِي تَدْبَانِ عَلَيْهَا — صَخْرِيَّةً.

فَلَمَّا رَأَتْهُمَا «أُمُّ مَازِنَ» عَرَفَتْهُمَا، وَأَدْرَكَتْ مَا تُعَانِيَانِ مِنْ جَهْدٍ، فَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِمَا،
قَائِلَةً: «كَيْفَ أَنْتُمَا؟ هَلُمَّا نَتَعَاوَنُ عَلَى جَرِّ هَذَا الْحِمْلِ الثَّقِيلِ!»

وَلَمْ تَضَعْ «أُمُّ مَازِنَ» وَقْتَهَا عَبَثًا، بَلْ انْضَمَّتْ إِلَى الْحَاطِبَتَيْنِ، وَعَاوَنْتَ رَفِيقَتَيْهَا
عَلَى جَرِّ الْفَرْعِ، حَتَّى بَلَغْنَ بِهِ ذِرْوَةَ التَّلَّةِ الصَّغِيرَةِ الْعَالِيَةِ.

ثُمَّ قَالَتْ «أُمُّ مَازِنَ» لِرَفِيقَتَيْهَا: «لَقَدْ أَدَّيْتُ وَاجِبِي — يَا رَفِيقَتَيَّ — فَوَدَاعًا، وَإِلَى
الْلِقَاءِ الْقَرِيبِ!»

فَشَكَرَتَا لَهَا مَا بَدَلَتْ — فِي مُسَاعَدَتَيْهِمَا — مِنْ جَهْدٍ وَعَنَاءٍ.

(٥) الْمَطَرُ

ثُمَّ سَارَتْ «أُمُّ مَازِنَ» فِي طَرِيقِهَا، حَتَّى لَقِيتْ جَمْهَرَةً مِنَ النَّمْلِ، جَادَّةً فِي السَّيْرِ. وَرَأَتْ
إِحْدَاهَا تَحْمِلُ وَلَدَهَا الصَّغِيرَ، وَقَدْ اخْتَصَّنَتْهُ فِي ثَوْبِهَا الشَّفَافِ. وَرَأَتْ جَمَاعَةً أُخْرَى

تَحْمِلُ أَعْوَادًا صَغِيرَةً — فِي مِثْلِ أَحْجَامِ الْإِبْرِ — مِنْ شَجَرِ الشُّوْحِ، وَبَقَايَا وَرَقِ الْأَشْجَارِ الْأُخْرَى.

وَأَنَّهَا لَسَائِرَةٌ فِي طَرِيقِهَا — وَادِعَةٌ قَرِيرَةَ النَّفْسِ — إِذْ سَمِعَتْ جَلْجَلَةً تُدَوِّي فِي الْفُضَاءِ، فَقَفَزَتْ خَائِفَةً مَذْعُورَةً. وَلَمْ تَدْرِ مَصْدَرَ تِلْكَ الْجَلْجَلَةِ الرَّاعِدَةِ، لِأَنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ صَوْتَ الرَّعْدِ، قَبْلَ الْيَوْمِ.

وَدَعَرَتْ رَفِيقَاتُهَا النِّمَالُ الَّتِي كَانَتْ تَسْعَى بَيْنَ الْحَشَائِشِ.. وَأَسْرَعَتْ إِلَى قَرْنِهَا عَائِدَةً، حِينَ سَمِعَتْ قَصْفَ الرُّعُودِ الْمُدَوِّيَّةِ.

أَمَّا صَاحِبَتُنَا «أُمِّ مَارِزٍ» فَقَدْ سَرَتْ الرَّعْدَةَ فِي جِسْمِهَا، مِنْ فَرْطِ الْخَوْفِ، وَأَسْرَعَتْ فِي جَرِيهَا صَوْبَ الْبَيْتِ. وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُدْ تُكْمِلُ عَشْرَ خُطَوَاتٍ، حَتَّى أَحَسَّتْ كَأَنَّ هِرَاوَةً ضَخْمَةً هَوَتْ عَلَى رَأْسِهَا بِضَرْبَةٍ قَاتِلَةٍ. فَصَرَخَتْ مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ وَالْخَوْفِ، وَهِيَ تَتَدَحَّرُ عَلَى الْأَرْضِ: «أِه! لَقَدْ تَحَطَّمَتْ، يَا رَأْسِي الْمُسْكِينِ!»

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الضَّرْبَةُ الْقَاتِلَةُ الَّتِي كَادَتْ تُذْهِلُ «أُمِّ مَارِزٍ» إِلَّا نَقْطَةً كَبِيرَةً مِنْ الْمَطَرِ. ثُمَّ تَبِعَتْهَا نَقْطَةٌ أُخْرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا. ثُمَّ ثَالِثَةٌ، ثُمَّ تَوَالَتْ قَطَرَاتُ الْمَطَرِ. فَاشْتَدَّ جَزَعُ «أُمِّ مَارِزٍ»، وَأَيَقَنْتْ بِالْهَلَاكِ. وَصَاحَتْ مَعُوَّةً تَطْلُبُ النَّجْدَةَ، وَقَدْ تَمَلَّكَهَا الدُّعْرُ: «أَعِينُونِي! أَدْرِكُونِي! النَّجْدَةُ يَا رَفِيقَاتِي، فَإِنَّ أَعْدَائِي تَأْتِمُرُ بِي لِتَقْتُلَنِي!»

فَلَمْ يَسْمَعْ صِيَاحَهَا أَحَدٌ، وَذَهَبَ صَرَخُهَا أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ. فَأَسْرَعَتْ — فِي جَرِيهَا يَمَنَةً وَيَسْرَةً — وَهِيَ لَا تَدْرِي: إِلَى أَيْنَ تَقْصِدُ، وَقَدْ غَمَرَ الْمَطَرُ كُلَّ مَكَانٍ، وَالتَّصَقَّتْ أَرْجُلُهَا بِجِسْمِهَا الصَّغِيرِ.

وَلَكِنَّهَا رَأَتْ — لِحْسَنِ حَظِّهَا — حَقْلًا عَلَى قَيْدٍ (مَسَافَةٍ) خُطَوَاتٍ مِنْهَا. وَلاَحَتْ أَمَامَهَا سَنَابِلُ الْقَمْحِ الذَّهَبِيَّةِ فُخِيلٌ إِلَيْهَا أَنَّهُ غَابَةٌ. فَأَسْرَعَتْ إِلَى الْحَقْلِ، لِتَأْمَنَ غَائِلَةَ الْمَطَرِ.

(٦) بَيْنَ سَنَابِلِ الْقَمْحِ

وَمَسَتْ «أُمِّ مَارِزٍ» بَيْنَ سَنَابِلِ الْقَمْحِ، تَبَحُّثُ عَنْ مَكَانٍ جَافٍّ، ثُمَّ وَقَفَتْ تَسْتَرْقُ السَّمْعَ، وَتَقُولُ فِي نَفْسِهَا: «تَرَى هَلْ بَلَغْتَ الْمَأْمَنَ؟ تَرَى هَلْ يُفَاجِئُنِي أَحَدٌ مِنْ أَعْدَائِي فِي هَذَا

الْمَكَانِ؟ تَرَى مَاذَا تُحْبِوهُ السَّنَابِلُ الْعَالِيَةُ مِنْ مُفَاجَأَتٍ؟ مَا أَظُنُّ أَحَدًا فِيهَا، فَإِنِّي لَا أَسْمَعُ حَرَكَهَ لِكَائِنٍ كَانَ. فَلَأَبْقِ وَحِيدَةً فِي هَذَا الْحَقْلِ الْأَمِينِ..
وَلَكِنَّهَا شَعَرَتْ بِالْبُرْدِ يَسْرِي فِي جِسْمِهَا. فَاشْتَدَّ نَدْمُهَا عَلَى خُرُوجِهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَضَاعَفَ حُزْنُهَا أَنَّهَا بَعْدَتْ عَنْ بَيْتِهَا، وَتَعَذَّرَتْ عَوْدَتُهَا إِلَيْهِ.
وَقَالَتْ تُنَاجِي نَفْسَهَا، وَتَلُومُهَا عَلَى مُخَاطَرَتِهَا: «لَا شَكَّ أَنَّ أَخَوَاتِي سَيَتَأَلَّمْنَ، وَيَقْلُقُ بِالْهَنْ لِعِيبَتِي ... وَلَكِنْ مَاذَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَلْمَحُ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالسَّطْحِ فَوْقَ هَذِهِ السَّنَابِلِ ... مَرَحَى فَقَدْ وَجَدْتُ بُغْيَتِي، فَلَأَتَسَلَّقَ هَذِهِ السَّاقِ الطَّوِيلَةَ، لِأُصْبِحَ أَمَنَةً مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.»

وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكَدْ تَفْعَلْ، حَتَّى سَمِعَتْ صَوْتًا رَابِعًا، يَصِيحُ قَائِلًا: «مَنْ الْقَادِمُ؟»
فَارْتَعَدَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» وَأَصْبَحَتْ — مِنْ فَرَطِ خَوْفِهَا — بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَتَدَخَّرَتْ إِلَى الْأَرْضِ مُسْرِعَةً.
ثُمَّ نَظَرَتْ «أُمُّ مَارِزٍ»، فَارَأَتْ دَابَّةً سَمْرَاءَ اللَّوْنِ، هَابِطَةً مِنْ سُوقِ الْقَمْحِ. وَأَنْعَمَتْ النَّظَرَ فِيهَا، فَارَأَتْهَا هَائِلَةً الْجَرَمِ، طَوِيلَةَ الْجِسْمِ، مُحَدَّدةَ الرَّأْسِ، تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، وَلَهَا ذَنْبٌ صَغِيرٌ، وَعَيْنَانِ بَرَّاقَتَانِ.

فَقَالَتْ «أُمُّ مَارِزٍ»، بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ، وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الدُّعْرُ: «عَفْوًا يَا سَيِّدَتِي، وَاصْفَحِي عَنْ زَلَّتِي، فَإِنَّهَا غَيْرُ مُتَعَمِّدَةٍ ... وَهَا أَنْتِ ذِي تَرَيْنِي مُبَلَّلَةَ الْجِسْمِ؛ وَقَدْ أَصْبَحْتُ أَجْدَرُ مَخْلُوقَةٍ بِالْعُطْفِ وَالرِّثَاءِ. وَقَدْ أُوتِيتُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ — لَحْظَةً يَسِيرَةً — لَعَلِّي أَمِنُ الْأَخْطَارَ، وَاتَّقِيَ الْغَوَائِلَ. وَلَمْ أَكُذِّ أَسْتَقِرُّ تَحْتَ السَّنَابِلِ ...»

فَقَاطَعَتْهَا الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ قَائِلَةً: «لَعَلَّكَ تَعْنِينَ بَيْتَنَا!»
فَقَالَتْ «أُمُّ مَارِزٍ»: «عُذْرًا — يَا سَيِّدَتِي — وَصَفْحًا. فَإِنَّ الْمَطَرَ قَدْ كَفَّ عَنْ الْهُطُولِ، فِيمَا أَظُنُّ، وَفِي قُدْرَتِي أَنْ أَعُودَ أَدْرَاجِي، إِذَا أَذْنَتِ لِي، حَتَّى لَا أَرْعَجَكَ.»
فَقَالَتْ لَهَا الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ: «تَرَيَّتِي قَلِيلًا، فَلَنْ أَذْنَ لَكَ، قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَ أُمِّي فِي أَمْرِكَ!»
فَقَالَتْ «أُمُّ مَارِزٍ»: «كَلَّا، كَلَّا — يَا سَيِّدَتِي — لَا تُنَادِيهَا، وَدَعِينِي أَمْضِي فِي سَبِيلِي؛ فَإِنِّي جِدُّ خَائِفَةٍ. وَحَقٌّ لِي أَنْ أَخَافَ، فَإِنَّ هَذِهِ هِيَ أَوَّلُ مَرَّةٍ أُخْرُجُ فِيهَا مِنْ قَرْيَتِي ... وَاسْتُتِ أَعْرِفُ أَحَدًا ...»

فَقَالَتِ الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ: «إِنِّي أَجْهَلُكَ، وَلَا أَعْرِفُ أَيَّ مَخْلُوقٍ أَنْتِ. فَمَنْ تَكُونِينَ؟»

فَقَالَتْ لَهَا «أُمُّ مَارِزٍ»: «أَنَا نَمْلَةٌ صَغِيرَةٌ سَوْدَاءُ ...»

فَصَاحَتِ الدَّابَّةُ: «نَمْلَةٌ أَنْتِ؟ كَلَّا، وَكَذَبْتَ فِي زَعَمِكَ. فَإِنَّ أُمِّي قَدْ أَرَتْنِي نَمْلَةً — نَاتَ يَوْمٍ — لَهَا أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ بَيَاضٍ. وَلَسْتُ أَرَى لَكَ أَجْنِحَةً ... وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكَ لَسْتَ نَمْلَةً كَمَا تَزْعُمِينَ!»

فَقَالَتْ لَهَا «أُمُّ مَارِزٍ»: «كَلَّا، يَا سَيِّدَتِي، فَإِنِّي لَمْ أَكْذِبْكَ شَيْئًا مِمَّا قُلْتُ ... وَإِنَّمَا أَنَا نَمْلَةٌ عَامِلَةٌ ... وَلَيْسَ لِبَنَاتِ جِنْسِي أَجْنِحَةٌ، مَا عَدَا الْآبَاءَ وَالْأُمَمَاتِ أَمَّا الْعَامِلَاتُ — مِنْ مِثْلَاتِي — فَلَا أَجْنِحَةَ لَهُنَّ.»

فَقَالَتِ الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ: «أَعَامِلَةٌ أَنْتِ إِذَنْ؟ شَدَّ مَا تُضْجِكِينِنِي بِهَذِهِ الْمُدَاعَبَةِ الظَّرِيفَةِ! إِنِّي لِأَحَارُ، إِذَا حَاوَلْتُ أَنْ أَتَعَرَّفَ: أَيَّ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَى أَحَدٍ، مِنْ حَشَرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي مِثْلِ ضَالَّتِكَ؟ وَمَاذَا يَسْتَطِيعُ مِثْلُكَ أَنْ يَعْمَلَ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَقَارَةِ؟»

فَأَجَابَتْهَا «أُمُّ مَارِزٍ»: «إِنِّي لَمَّا أَبْدَأُ عَمَلِي كُلَّهُ. فَلَمْ أَزَلْ حَدِيثَةً عَهْدٍ بِالدُّنْيَا، وَلَقَدْ دَهَمْتَنِي الْعَاصِفَةُ، وَلَمْ أَكُذِّ أَنْتَهِيَ مِنْ حَلَبِ بَقَرَاتِنَا.»

فَعَجِبَتِ الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ، وَقَالَتْ لَهَا، جِدَّ مَدْهُوشَةً: «أَيَّ بَقَرَاتٍ تَعْنِينَ، أَيَّتُهَا الْبَلْهَاءُ؟ أَهِيَ بَقَرَاتُ حَقِيقَةٍ، نَاتَ قُرُونٍ، كَالَّتِي نَرَاهَا فِي الْحُقُولِ؟ شَدَّ مَا طَوَّحَ بِكَ الْخِيَالُ، فَأَصْبَحْتَ تَسْبِجِينَ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ، أَيَّتُهَا الصَّغِيرَةُ الْحَمَقَاءُ! كَيْفَ تُحَاوِلِينَ أَنْ تُقْنِعِينِي أَنَّ نَمْلَةً ضَيْئِلَةً مِثْلُكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْلُبَ بَقَرَةً كَبِيرَةً الْحَجْمِ هَائِلَةً الْجَرْمِ؟ ... هَا هَا هَا ...!»

فَقَالَتْ «أُمُّ مَارِزٍ»: «إِنَّ بَقَرَاتِنَا — يَا سَيِّدَتِي — صَغِيرَةٌ جِدًّا.

إِنَّهَا — لَوْ عَلِمَتْ — بَرَاعِيثُ، ضَيْئِلَةُ الْحَجْمِ، تَعِيشُ فَوْقَ الْأَشْجَارِ. وَقَدْ كُنْتُ — الْيَوْمَ — أَدَاعِبُهَا بِقَرْنَيَّ مُتَلَفِّفَةً، فَيَذُرُّ جِسْمَهَا عَلَيَّ قَطْرَاتٍ لَذِيذَةِ الطَّعْمِ، فِي مِثْلِ حَلَاوَةِ السُّكَّرِ.

وَلَقَدْ شَعَرْتُ الْآنَ بِالْأَلَمِ الْجُوعِ. فَهَلْ تَأْذِنِينَ لِي — مُتَفَضِّلَةً — أَنْ أَعُودَ إِلَى بَقَرَاتِي، فَأَحْلُبَهَا، وَأَسْتَدِرَّ مِنْهَا طَعَامِي الشَّهْيِّ، ثُمَّ نَلْتَقِي بَعْدُ؟»

فَاقْتَرَبَتِ الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ مِنْ «أُمِّ مَازِنَ»، وَنَظَرَتْ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهَا الْكَبِيرَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا: «كَلَّا ... كَلَّا ... لَنْ أَدْنَ لَكَ فِي الذَّهَابِ، وَلَنْ أَسْمَحَ لَكَ بِالْإِنْصِرَافِ، قَبْلَ أَنْ تُخْرِينِي بِاسْمِكَ.»

فَارْتَاعَتْ «أُمُّ مَازِنَ» الْمُسْكِينَةَ، وَتَرَجَعَتْ إِلَى الْوَرَاءِ مَذْعُورَةً.
فَقَالَتْ لَهَا الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ: «هَلُمِّي، فَخَرِّينِي بِاسْمِكَ ... أَجِيبِي!»
فَأَجَابَتْهَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ مَحْزُونٍ: «اسْمِي: أُمُّ مَازِنَ.»
فَقَالَتْ لَهَا الدَّابَّةُ السَّمْرَاءُ: «أَمَّا أَنَا، فَيَدْعُونَنِي بِـ«أُمِّ رَاشِدٍ».»
فَقَالَتْ «أُمُّ مَازِنَ»: «مَا أَبْدَعَهَا كُنْيَةً، يَا عَزِيزَتِي: أُمِّ رَاشِدٍ!»
فَاهْتَزَّتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» قَائِلَةً: «إِنِّي فَارَّةٌ صَغِيرَةٌ، أَسْكُنُ مَعَ أَهْلِي هَذَا الْعُشَّ الَّذِي تَرَيْنَهُ فَوْقَ رَأْسِنَا.»

فَنَظَرَتْ «أُمُّ مَازِنَ»، فَرَأَتْ — فِي أَعْلَى سَنَابِلِ الْقَمْحِ — كُرَّةً كَبِيرَةً مُعَلَّقَةً بَيْنَهَا.
فَصَاحَتْ مَدْهُوشَةً: «كَيْفَ تَقُولِينَ؟ أَهَذَا هُوَ عُشُّكَ، يَا «أُمِّ رَاشِدٍ»؟ إِنَّهُ لَا يُمَاتِلُ بُيُوتَ النَّمْلِ.»



(٧) «أُمُّ أُنْدَرَاكِسْ»

وَصَاحَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» تُنَادِي أُمَّهَا بِأَعْلَى صَوْتِهَا. فَخَرَجَتْ مِنَ الْعُشِّ فَأَرَتْ أَكْبَرَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا، هِيَ تُدَانِيهَا: «آه! هَا أَنْتِ ذِي، يَا بُنَيَّتِي الْعَزِيزَةَ. وَقَدْ كُنْتُ فِي قَلْقٍ عَلَيْكِ — يَا «أُمُّ رَاشِدٍ» — فَمَا تَصْنَعِينَ هُنَا وَحَدِّكِ؟»

فَاجَابَتْهَا «أُمُّ رَاشِدٍ»: «لَسْتُ هُنَا وَحْدِي، يَا أُمِّي، فَاَنْظُرِي إِلَى هَذِهِ الزَّائِرَةِ الصَّغِيرَةِ.»

فَقَالَتْ «أُمُّ أُنْدَرَاكِسْ»: «آه! صَدَقْتِ، يَا «أُمُّ رَاشِدٍ»، فَإِنَّهَا نَمْلَةٌ. وَمَا أَظْنُهَا إِلَّا شَارِدَةً ضَلَّتْ الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِهَا. أَلَيْسَ كَذَلِكَ، أَيْتُهَا النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ؟»

فَلَمْ تَسْتَطِعْ «أُمُّ مَارِزٍ» أَنْ تُجِيبَهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَانْتَبَرَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» قَائِلَةً: «إِنَّهَا تُدْعَى «أُمُّ مَارِزٍ»، وَقَدْ دَهَمَتْهَا الْعَاصِفَةُ، فِيمَا تَقُولُ.»

فَقَالَتْ «أُمُّ أُنْدَرَاكِسْ»: «خَبَّرْنِي، يَا صَغِيرَتِي الْعَزِيزَةَ: أَلَسْتَ تَقْطُبِينَ تِلْكَ الْقَرْيَةَ الْعَامِرَةَ، الَّتِي فِي أَسْفَلِ شَجَرَةِ الْبُرْقُوقِ الْكَبِيرَةِ؟»

فَاجَابَتْهَا «أُمُّ مَارِزٍ»: «صَدَقْتِ — يَا سَيِّدَتِي — فَإِنَّ بَيْنَنَا هُنَاكَ، بِالْقُرْبِ مِنْ جِذْعِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ.»

فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ»: «لَعَلَّ أُمَّكَ شَدِيدَةُ الْقَلْقِ عَلَيْكِ، بَعْدَ أَنْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ!»

فَقَالَتْ «أُمُّ مَارِزٍ»: «نَقُولِينَ: أُمِّي، وَلَسْتُ أَعْرِفُ أَنَّ لِي أُمًّا وَلَدْتَنِي؟!»

فَسَأَلَتْهَا «أُمُّ رَاشِدٍ»: «أَتَعْنِينَ أَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ؟»

فَاجَابَتْهَا «أُمُّ مَارِزٍ»: «ذَلِكَ مَا أَجْهَلُهُ الْجَهْلُ كُلُّهُ فَإِنِّي لَمْ أَرَهَا قَطُّ!»

فَسَأَلَتْهَا «أُمُّ رَاشِدٍ»: «إِذَا فَمَنْ كَانَ يَتَعَهَّدُكَ بِالْغِذَاءِ، فِي أَتْنَاءِ طُفُولَتِكَ؟»

فَقَالَتْ «أُمُّ مَارِزٍ»: «كَانَتْ مُرْضِعَاتُنَا الْعَامِلَاتُ يَتَعَهَّدْنَ، وَيَسْهَرْنَ عَلَى رَاحَتِنَا.

وَإِنِّي أُوَكِّدُ لِكَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَقْصُرْنَ فِي تَلْبِيَةِ رَغَبَاتِنَا، وَالْإِنْيَاةِ بِأَمْرِنَا.»

فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ»: «أَلَيْسَ لَكَ مِثْلُ مَا لَنَا — مَعَشَرُ الْفَأَرِ — أُمَّا حَنُونًا، تَتَعَهَّدُكِ

بِزَهْرٍهَا وَعَظْفِهَا؟ يَا لِكَ مِنْ شَقِيَّةٍ تَاعِسَةٍ!»

فَقَالَتْ «أُمُّ مَازِنَ»: «إِنَّ لَنَا — مَعَشَرَ النَّمْلِ — أُمَّاتٍ. وَلَكِنَّهِنَّ يُحْبَسْنَ فِي غُرْفَةٍ بَعَيْنِهَا — مِنْ غُرَفِ الْقَرْيَةِ — وَيَقْضِينَ فِيهَا أَعْمَارَهُنَّ كُلَّهَا لِيَبْضُنَّ. وَقَدْ حَدَّثُونِي أَنَّنِي حِينَ كُنْتُ إِحْدَى ذَلِكَ الْبَيْضِ الصَّغِيرِ ...»
فَقَاطَعْنَهَا «أُمُّ رَاشِدٍ» قَائِلَةً: «لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الطُّيُورَ هِيَ — وَحْدَهَا — الَّتِي تَبْيِضُ!»

فَقَالَتْ «أُمُّ مَازِنَ»: «نَعَمْ، وَكُنْتُ — مُنْذُ زَمَنٍ يَسِيرٍ — شَيْئًا مُسْتَدِيرًا، غَايَةً فِي الصَّغَرِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي رَأْسٌ، وَلَا أَرْجُلٌ، وَلَا أَعْيُنٌ ... وَلَسْتُ أَذْكُرُ ذَلِكَ الزَّمَنَ جِدًّا.»
فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ»، ضَاحِكَةً: «لَقَدْ فَهَمْتُ مَا تَعْنِينَ، فَقَدْ كُنْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ جَنِينًا؛ لَمْ تَتِمَّ خَلْقَتُهُ، وَلَمْ يَتَكَوَّنْ رَأْسُهُ بَعْدُ.»
وَأَسْتَأْنَفَتْ «أُمُّ مَازِنَ» قَائِلَةً: «وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ انْشَقَّ ذَلِكَ الْبَيْضُ — فِيمَا حَدَّثْتَنِي مُرْضَعَتِي «أُمُّ مَشْغُولٍ» — وَخَرَجَتْ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُ: دُودَةٌ بَيْضَاءُ. وَكَانَتْ هَذِهِ الدُّودَةُ هِيَ أَنَا!»

وَقَدْ كُنْتُ — حِينَئِذٍ — جَدًّا سَعِيدَةً. وَكَانَتْ الْمُرْضَعَاتُ يُغَذِّبْنِي — فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ — كُلَّ صَبَاحٍ، ثُمَّ يَحْمِلُنَنِي إِلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيَذَلُّكُنْ جِسْمِي، وَيَلْعَقُنَّهُ، حَتَّى إِذَا أَمْسَيْتُ حَمَلْنَنِي إِلَى الْبَيْتِ ... وَقَدْ انْقَضَى هَذَا الزَّمَنُ السَّعِيدُ إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ؛ فَمَا كَانَ أَطْيَبَهُ، وَأَرْوَحَ ذِكْرَاهُ!
ثُمَّ أَصْبْتُ بِمَرَضٍ، حَيَلٌ إِلَيَّ أَنَّ آخِرَتِي قَدْ قَرُبَتْ، وَأَصْبَحْتُ لَا أَسْتَسِيغُ الطَّعَامَ، وَلَا أَسْتَمْرِيُ الْغِذَاءَ؛ وَيَبْسُتُ مِنَ الْبَقَاءِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَوَطْنْتُ نَفْسِي عَلَى لِقَاءِ الْمَوْتِ.

وَبِمَّةٍ سَمِعْتُ صَوْتًا يَصِيحُ: «تَعَطَّيْ أَيْتُهَا الدُّودَةُ الصَّغِيرَةُ، وَالتَّفِّي بِهَذَا الْخَيْطِ الدَّقِيقِ، الَّذِي تُخْرِجِيهِ مِنْ فَمِكَ.»

فَلَبَّيْتُ ذَلِكَ الدُّعَاءَ مِنْ فَوْرِي ... وَلَمْ أَكْذُ أَفْعَلْ، حَتَّى وَجَدْتَنِي مَحْبُوسَةً فِي كَيْسٍ!
فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» مُتَبَرِّمَةً: «مَحْبُوسَةٌ دَاخِلَ كَيْسٍ؟ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ لَأَخْتَنَقْتُ، أَيْتُهَا الْمِسْكِينَةُ النَّاعِسَةُ!»

فَقَالَتْ «أُمِّ مَارِزَينَ»: «كَلَّا، لَمْ أَحْتَنِقْ، بَلْ نِمْتُ نَوْمًا عَمِيقًا وَانْتَقَلْتُ — مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ — مِنْ طَوْرِ الدُّوْدِيَّةِ إِلَى طَوْرِ النَّمْلِيَّةِ. فَأَصْبَحْتُ — حِينِيذٍ — عَرُوسًا مِنْ عَرَائِسِ النَّمْلِ، مَلْفُوفَةً فِي أَفْوَافِ الْحَرِيرِ.

وَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ مِنْ سُبَاتِي (نَوْمِي الْعَمِيقِ) أَلْفَيْتُنِي قَدْ انْتَقَلْتُ إِلَى حَالٍ مُغَايِرَةِ لِحَالِي الْأَوَّلَى كُلِّ الْمَغَايِرَةِ. فَأَصْبَحْتُ مَخْلُوقَةً أُخْرَى وَصَارَ لِي سِتُّ أَرْجُلٍ، وَانْقَسَمَ جِسْمِي أَقْسَامًا ثَلَاثَةً؛ فَاسْتَوَلَى عَلَيَّ الْفَرْحُ، وَصَحْتُ مُبْتَهَجَةً: «مَرْحَى! مَرْحَى! لَقَدْ أَصْبَحْتُ الْآنَ فِي عِدَادِ الْحَشَرَاتِ!»

عَلَى أَنَّ فَرْحِي لَمْ يَدُم طَوِيلًا، فَقَدْ كَانَ قَصِيرُ الْمَدَى. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّي كُنْتُ — إِلَى ذَلِكَ الْحِينِ — سَجِينَةً فِي الْكَيْسِ الَّذِي حَدَّثْتُكَ عَنْهُ. وَلَمْ أَكُنْ — حِينِيذٍ — أَسْتَطِيعُ حِرَاكًا. وَنَمَّةً أَيْقَنْتُ بِالْهَلَاكِ مَرَّةً أُخْرَى، وَحَزَنْتُ لِذَلِكَ، فَاسْتَسَلَمْتُ لِلْبُكَاءِ.

فَصَاحَتْ الْفَارَاتَانِ: «لَكَ اللَّهُ، أَيَّتُهَا الصَّدِيقَةُ النَّاعِسَةُ!»

وَاسْتَأْنَفْتُ «أُمِّ مَارِزَينَ» قَائِلَةً: «ثُمَّ لَبِثْتُ أَبْكِي وَقَتًا طَوِيلًا. وَإِنِّي لَعَارِقَةٌ فِي أَحْزَانِي، مُسْتَسْلِمَةٌ لِأَلَامِي، إِذْ طَرَقَ سَمْعِي دَبِيبُ خُطَوَاتٍ. فَصَحْتُ مَعْوَتَةً أَطْلُبُ النُّجْدَةَ. ثُمَّ شَعَرْتُ بِأَنَّ رَفِيقَاتِي الْكَبِيرَاتِ يَتَقَبَّلْنَ تِلْكَ الْقِشْرَةَ الَّتِي تُحِيطُ بِجِسْمِي. وَمَا كِدْنَ يَنْتَهِيْنَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى اقْتَرَبَتْ مِنِّي إِحْدَى الْعَامِلَاتِ، فَأَمْسَكَتْ بِرَقَبَتِي، وَجَرَّتْنِي إِلَيْهَا، بِكُلِّ مَا أُوتِيتُ مِنْ قُوَّةٍ. فَصَرَخْتُ مُتَأَلِّمَةً: «أَه! تَرَفَّقِي بِي — يَا سَيِّدَتِي — فَقَدْ أَلَمَّتْنِي أَشَدُّ الْأَلَمِ!»

وَكَانَتْ تِلْكَ الْمُرْضَعَةُ — فِيمَا يُخِيلُ إِلَيَّ — صَمَاءً، لَا تَسْمَعُ. فَقَدْ ظَلَّتْ تَجَرُّنِي، وَلَمْ تَأْبَهُ لِصِيحَاتِي، وَلَمْ تُصْغِ لِتَأْوِهَاتِي، وَاقْتَرَبَتْ جَمَهَرَةٌ مِنَ الْعَامِلَاتِ لِيُسَاعِدْنَهَا فِي ذَلِكَ. وَمَا كِدْنَ يَفْعَلْنَ، حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْقِشْرَةِ الَّتِي تَكْتَنِفُ جِسْمِي، وَهِيَ تَتَكَسَّرُ. وَهَكَذَا خَرَجْتُ مِنْ سَجْنِي الضَّيِّقِ، وَأَنَا أَضْعَفُ مَا أَكُونُ. وَقَدْ أَغْمِيَ عَلَيَّ مِنْ فُرْطِ الْأَلَمِ وَالضَّنَى.

ثُمَّ أَحَاطَتْ بِي الْمُرْضَعَاتُ الْحَانِيَاتُ، وَالْعَامِلَاتُ الرَّفِيقَاتُ، وَظَلَلْنَ يَدُلُّكُنَّ جِسْمِي، حَتَّى أَيْقَظَنَنِي مِنْ غَشِيَّتِي، وَأَعَدْنَ إِلَيَّ رُشْدِي بَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ ... ثُمَّ مَرَّتْ بِي أَيَّامٌ

قَلِيلَةً، فَسَعَرْتُ بِالْقُوَّةِ تَسْرِي فِي جَسَدِي شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى أَصْبَحْتُ كَمَا تَرَيَانِ، أَيَّتُهَا الصَّدِيقَتَانِ!

(٨) فِي طَرِيقِ النَّمْلِ

فَقَالَتْ «أُمُّ أَدْرَاصٍ»: «مَا أَجْمَلَ قِصَّتِكَ، يَا «أُمِّ مَازِنَ». فَوَدَاعًا أَيَّتُهَا الصَّدِيقَةُ الصَّغِيرَةُ، فَإِنَّ زَوْجِي «أَبَا أَدْرَاصٍ» لَا يَزَالُ — كَمَا تَرَكْتُهُ — وَحِيدًا فِي عِشِّهِ. فَلَاذْهَبْ إِلَيْهِ مَعَ ابْنَتِي «أُمِّ رَاشِدٍ».

فَوَدَّعْنَهُمَا «أُمِّ مَازِنَ»، وَأَسْرَعَتِ الْفَارَتَانِ إِلَى عِشِّهِمَا، وَحَيَّتَا صَدِيقَتَهُمَا، وَهُمَا تَتَسَلَّقَانِ سَنَابِلَ الْقَمْحِ، فِي خِفَّةٍ وَرَشَاقَةٍ.

وَاسْتَخَفَّتْ «أُمِّ مَازِنَ» بَيْنَ سَنَابِلِ الْقَمْحِ. وَظَلَّتْ تُوَاصِلُ سَيْرَهَا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى سَهْلٍ فَسِيحٍ. فَلَمْ تَهْتَدِ إِلَى سَبِيلِهَا الَّتِي تَسْلُكُهَا إِلَى بَيْتِهَا، وَأَيَقَنْتْ أَنَّهَا قَدْ ضَلَّتِ الطَّرِيقَ. وَحَارَتْ فِي أَمْرِهَا، فَلَمْ تَذَرِ: كَيْفَ تَصْنَعُ؟



وَإِنَّهَا لَتَسِيرُ مُعْتَسِفَةً (عَلَى غَيْرِ هُدًى)، إِذْ أَبْصَرَتْ لِحْسِنَ حَظِّهَا طَرِيقَ النَّمْلِ. وَلَاحَ لَهَا سَطْحُ بَيْتِهَا الْعَالِي، فَصَاحَتْ مُبْتَهِجَةً مُسْرُورَةً: «يَا لَهَا مِنْ سَعَادَةٍ! لَقَدْ اهْتَدَيْتُ إِلَى وَادِينَا الْعَامِرِ.»

وَلَكِنَّهَا شَعَرَتْ بِأَلَمِ الْجُوعِ، فَاتَّزَتْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى بَقَرَاتِهَا لِتَحْلُبَهَا. وَثُمَّ أَسْرَعَتْ إِلَى شَجَرَةِ الْبُرْقُوقِ، حَيْثُ رَأَتْ جَمْهَرَةً مِنْ رَفِيقَاتِهَا: دَائِبَةُ الْحَرَكَةِ، مَوْفُورَةُ النَّشَاطِ، بَيْنَ رَائِحَةِ وَغَادِيَةٍ.

وَمَا إِنَّ أَبْصَرَتْ إِحْدَى شَقِيقَاتِهَا وَهِيَ تُدَانِيهَا، حَتَّى ضَرَبَتْ رَأْسَهَا بِقَرْنَيْهَا — وَهَذِهِ لُغَةُ الْكَلَامِ عِنْدَ النَّمْلِ — ثُمَّ تَبَادَلَتَا نَحِيَّةً مُقْتَضِبَةً، لِأَنَّ النَّمْلَ دَائِبُ الْعَمَلِ، وَهُوَ مَشْغُولٌ أَبَدًا، لَا يَرْضَى أَنْ يُضِيعَ وَقْتًا فِي تَزْنُرَةٍ لَا طَائِلَ تَحْتَهَا.

فَقَالَتْ لَهَا أُخْتُهَا: «هَا أَنْتِ ذِي قَادِمَةٍ، يَا «أُمِّ مَارِزٍ». فَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟»

فَقَالَتْ لَهَا «أُمِّ مَارِزٍ»، وَهِيَ مُسْتَأْنِفَةٌ سَيْرِهَا: «لَقَدْ جُلْتُ جَوْلَةً قَصِيرَةً، فَدَهَمَنِي الْعَاصِفَةُ.»

ثُمَّ قَابَلَتْهَا نَمْلَةٌ أُخْرَى؛ فَقَالَتْ لَهَا: «سُعِدَ يَوْمُكَ، يَا «أُمِّ مَارِزٍ».

أَذَاهِبِي أَنْتِ لِتَحْلُبِي بَقَرَاتِنَا؟ سِرِّي مُتَقِطَةٌ حَذَرَةً، فَإِنْ عَصَفُورًا يَرْقُبُكَ مِنْ أَعْلَى شَجَرَةِ الْبُرْقُوقِ. فَحَذَارِ أَنْ تَذْهَبِي فَرِيسَةً لَهُ!»

فَقَالَتْ «أُمِّ مَارِزٍ»: «شُكْرًا لَكَ — يَا «أُمِّ نَوْبَةَ» — عَلَى نَصِيحَتِكَ. وَدَاعًا يَا عَزِيزَتِي!»

ثُمَّ أَبْصَرَتْ مُرْضِعَتَهَا «بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ»، فَقَالَتْ لَهَا، مُبْتَهَجَةً بِلُقْيَاهَا: «حُيِّتِ يَا «بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ»، وَسُعِدَ يَوْمُكَ! أَقَادِمَةُ أَنْتِ مِنْ هَذَا النَّقَبِ؟»

فَأَجَابَتْهَا بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ: «صَدَقْتَ، يَا «أُمِّ مَارِزٍ»! آه، لَوْ عَلِمْتُ — يَا بُنَيَّتِي — مَا أَصَابَنِي الْيَوْمَ مِنْ أَلَمٍ وَشَقَاءٍ؟ لَقَدْ فُقِئْتُ إِحْدَى عُيُونِي، مُنْذُ لَحْظَةٍ، وَقَدْ أَصْبَحْتُ — لِتَعَاسَتِي — لَا أَكَادُ أَبْصُرُ شَيْئًا.»

فَقَالَتْ «أُمِّ مَارِزٍ»: «مُسْكِينَةُ أَنْتِ، يَا «بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ»، فَالْبَيْتِ قَلِيلًا، فَإِنِّي سَأُصْحَبُكَ فِي عَوْدَتِكَ إِلَى الْقَرْيَةِ.»

(٩) فِي بُرْقُوقَةٍ

ثُمَّ أَسْرَعَتْ «أُمِّ مَارِزٍ» إِلَى غِصْنِ الشَّجَرَةِ، وَرَجَّتْ نَفْسَهَا بَيْنَ أَوْرَاقِهَا، بَاحِثَةً عَنْ بَقَرَاتِهَا، فَلَمْ تَجِدْ — فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — بُرْغُوثًا تَحْتَلِبُهُ. وَلَكِنَّهَا عَثَرَتْ عَلَى بُرْقُوقَةٍ كَبِيرَةٍ،

ذَهَبِيَّةَ اللَّوْنِ، وَكَانَ بَعْضُ الْعَصَافِيرِ قَدْ شَقَّهَا. فَقَالَتْ «أُمِّ مَازِنَ» تُحَدِّثُ نَفْسَهَا: «مَا أَحْوَجَنِي إِلَى هَذَا الطَّعَامِ. فَلَا تَذَوِّقُهُ لَأُسَدَّ جُوعِي!»

وَلَمْ تَكَدْ تَلْعَقُ عَصِيرَهَا، حَتَّى قَالَتْ، مُبْتَهَجَةً بِهَذَا الْغِذَاءِ الْفَاجِرِ الشَّهِيِّ: «مَا أَلَذُّ طَعَامًا، وَأَشْهَاهُ غِذَاءً! لَقَدْ اهْتَدَيْتُ إِلَى طَعَامٍ آخَرَ، غَيْرَ لَبَنِ الْبَرَاغِيثِ الصَّغِيرَةِ.» ثُمَّ لَبِثْتُ «أُمِّ مَازِنَ» عَلَى الْبُرْقُوقَةِ الشَّهِيَّةِ زَمَنًا طَوِيلًا، وَأَنْسَتُهَا حَلَاوَتُهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَظَلَّتْ تَأْكُلُ مِنْهَا فِي شَرِّهِ عَجِيبٍ. وَإِنَّهَا لَمُقْبِلَةٌ عَلَى امْتِصَاصِهَا، إِذْ بِالْبُرْقُوقَةِ تَرْقُصُ فِي الْفَضَاءِ، ثُمَّ تَتَرَجَّحُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً!

وَأَحْسَتْ «أُمِّ مَازِنَ» ذَلِكَ الْخَطَرَ الدَّاهِمَ، فَتَشَبَّثَتْ بِهَا مُسْتِمِيَّةً، وَأَمْسَكَتْهَا بِكُلِّ مَا أُوتِيَتْ مِنْ قُوَّةٍ، وَهِيَ لَا تَدْرِي: مَاذَا حَدَثَ؟
ثُمَّ اهْتَزَّتِ الْبُرْقُوقَةُ هَزَّةً أُخْرَى، فَهَوَّتْ إِلَى الْأَرْضِ، وَأُغْمِيَ عَلَى «أُمِّ مَازِنَ» وَهِيَ جَائِمَةٌ فِي وَسَطِ الثَّمَرَةِ.

(١٠) فِي بَيْتِ «فَاضِلٍ»

وَلَعَلَّكُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَعْرِفُوا — أَيُّهَا الْأَطْفَالُ الْأَعْرَاءُ — السَّرَّ فِيمَا حَدَثَ. وَإِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكُمْ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ: لَقَدْ جَاءَ «فَاضِلٌ» الصَّغِيرُ — وَهُوَ غُلَامٌ فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ تَقْرِيْبًا — وَظَلَّ يَهْزُ شَجَرَةَ الْبُرْقُوقِ، لِيَمْلَأَ سَلْتَهُ بِذَلِكَ الثَّمَرِ الشَّهِيِّ، لِيُعِدَّ مِنْهَا فُطَائِرَ لَذِيذَةً. وَكَانَتْ بُرْقُوقَةُ «أُمِّ مَازِنَ» أَوَّلَ مَا سَقَطَ مِنَ الشَّجَرَةِ.

وَمَا زَالَ «فَاضِلٌ» يَهْزُ شَجَرَةَ الْبُرْقُوقِ، وَيَضَعُ فِي سَلْتِهِ مَا يَسْقُطُ مِنْهَا، حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَعَادَ بِهَا إِلَى بَيْتِهِ.

أَرَأَيْكُمْ تَتَسَاءَلُونَ عَنْ مَصِيرِ «أُمِّ مَازِنَ»، لِيَتَعَرَّفُوا: مَاذَا أَصَابَهَا؟ أَكَانَ نَصِيبُهَا الْهَلَاكُ أَمْ النِّجَاةُ؟

فَاعْلَمُوا — أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْرَاءُ — عَلِمْنُمُ الْخَيْرَ، وَأَلْهِمْنُمُ الرُّشْدَ وَالسَّدَادَ — أَنَّ «أُمِّ مَازِنَ» لَمْ تَمُتْ، وَإِنَّمَا أُغْمِيَ عَلَيْهَا، مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ، وَلَبِثَتْ وَقْتًُا طَوِيلًا، لَا تُبْدِي حَرَكَاتًا، وَلَكِنَّا اسْتَيْقِظَتْ وَجَدَتْ نَفْسَهَا ... يَا لِلْعَجَبِ! أَتَعْرِفُونَ: أَيْنَ وَجَدَتْ نَفْسَهَا؟

لَقَدْ دُهِشْتُ «أُمِّ مَارِزٍ» — كَمَا تَذْهَشُونَ — حِينَ رَأَتْ أَنَّهَا فِي وَسْطِ فَطِيرَةٍ، كَبِيرَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْبُرْقُوقِ.

وَقَفَزَ «فَاضِلٌ» الصَّغِيرُ فَرِحًا مَسْرُورًا بِتِلْكَ الْفَطِيرَةِ الْبُرْقُوقِيَّةِ الْجَمِيلَةِ وَقَالَ لِأُمِّهِ: «مَا أَجْمَلَ فَطِيرَتِكَ، يَا أُمِّي الْعَزِيزَةَ!

سُاعِطِي «لَيْلَى» الصَّغِيرَةَ نِصْفَ نَصِيبِي مِنْهَا، لِأَنَّهَا مَرِيضَةٌ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَدْخَلَ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِهَا. فَهَلْ تُقَرِّينَنِي عَلَى ذَلِكَ؟

إِنَّ الْفُرْنَ مُوقَدَةٌ، فَلْنَضَعْ فِيهَا الْفَطِيرَةَ، لِنُنْضِجَهَا النَّارَ الْحَامِيَةَ بَعْدَ قَلِيلٍ.»

فَارْتَجَفَتْ «أُمِّ مَارِزٍ»، وَقَالَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا: «أَهْ! لَقَدْ حَانَ حَيْنِي، بَلَا رَيْبٍ. وَلَوْ تَهَاوَنْتُ قَلِيلًا لَقَتَلْتَنِي نَارُ الْفُرَنِ الْحَامِيَةِ. فَلَأَنْجُوَ بِنَفْسِي، قَبْلَ أَنْ أُسْتَهْدَفَ لِهَذَا الْخَطَرِ الدَّاهِمِ الْمُمِيتِ!»

وَالْتَفَتَ «فَاضِلٌ» إِلَى أُمِّهِ بَغْتَةً، وَقَالَ لَهَا: «يَا لِلْعَجَبِ! أَلَا تُبْصِرِينَ هَذِهِ النَّمْلَةَ، يَا أُمَّاهُ؟ إِنَّهَا تَنْتَزِعُ عَلَى فَطِيرَتِنَا. فَيَا لَهَا مِنْ نَمْلَةٍ جَمِيلَةِ الشَّكْلِ، ظَرِيفَةِ الْمَنْظَرِ ... لَا بُدَّ مِنْ إِخْرَاجِهَا!»

فَصَاحَتْ بِهِ «أُمِّ مَارِزٍ»، وَقَدْ خَشِيتْ عَاقِبَةَ هَذَا الْعَمَلِ: «حَذَارِ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، يَا «فَاضِلُ». اتْرُكْنِي — بِرَبِّكَ — أَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ أَشَاءُ.»

وَلَكِنْ «فَاضِلًا» لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا مِمَّا تَقُولُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ لَعَةَ النَّمْلِ.

وَتَمَّةً أَمْسَكَ «أُمِّ مَارِزٍ»، وَقَبَضَ عَلَيْهَا بِإِصْبَعِيهِ فَتَوَجَّعَتْ، وَأَنْتَ مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ، وَقَالَتْ لَهُ ضَارِعَةً مُتَوَسِّلَةً: «شَدِّ مَا أَلَمْتَنِي قَبْضَةُ أَصَابِعِكَ، أَيُّهَا الْقَاسِي! فَدَعْنِي، وَإِلَّا اضْطَرَّرْتُ إِلَى قَرْصِكَ.»

وَلَمْ يَفْهَمْ «فَاضِلٌ» شَيْئًا مِنْ وَعِيدِهَا، وَلَكِنَّهُ وَضَعَهَا فِي رَاحَةِ يَدِهِ مُتَرَفِّقًا. ثُمَّ نَادَتْهُ أُمُّهُ، فَوَضَعَ «أُمِّ مَارِزٍ» عَلَى الْمَائِدَةِ، وَخَفَّ إِلَى أُمِّهِ مُسْرِعًا.

(١١) فَصْلٌ مِنْ كِتَابٍ

وَرَأَتْ «أُمِّ مَارِزٍ» أَمَامَهَا فُرْصَةً سَاحِحَةً لِلْهَرَبِ، فَزَلَزَتْ مُسْرِعَةً مِنَ الْمَائِدَةِ، وَاخْتَبَأَتْ فِي صُنْدُوقِ الْقِمَامَةِ (الْكُنَاسَةِ)، بَيْنَ فُتَاتِ الْخُبْزِ وَأَخْلَاطِ الطَّعَامِ. وَأَصْبَحَتْ — حِينِيذِ

— أَمِنَهُ مِنَ الْأَخْطَارِ. وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهَا غِبْطَةً وَسُرُورًا، حِينَ رَأَتْ «فَاضِلًا» يَعُودُ لِلْبَحْثِ عَنْهَا، وَفِي يَدِهِ مِصْبَاحٌ، وَأَبْصَرْتُهُ وَهُوَ يُفْتَشُّ عَنْهَا فِي أَرْجَاءِ الْمَطْبَخِ كُلِّهِ، عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ.

وَجَاءَ «أَبُو فَاضِلٍ» فَسَأَلَ وَلَدَهُ: «مَاذَا تَصْنَعُ؟» فَحَدَّثَتْهُ بِقِصَّةِ النَّمْلَةِ وَالْبَرْقُوقَةِ. فَانْتَهَرَ «أَبُو فَاضِلٍ» تِلْكَ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ، وَظَلَّ يُحَدِّثُ وَلَدَهُ عَنْ خَصَائِصِ النَّمْلِ، وَمَزَايَاهُ، وَنَشَاطِهِ النَّادِرِ، وَحِيلِهِ الْعَجِيبَةِ. فَدَهَشَ «فَاضِلٌ»، وَأُعْجِبَ بِمَا سَمِعَ، وَقَالَ لِأَبِيهِ: «لَعَلَّ هَذَا أَعْجَبُ دَرَسٍ سَمِعْتُهُ فِي حَيَاتِي!» وَرَأَى الْوَالِدَ أَنَّ ابْنَهُ لَا يَزَالُ فِي حَاجَةٍ إِلَى سَمَاعِ الْمَزِيدِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا دُمْتَ تَطْلُبُ الْمَزِيدَ، فَادْهَبْ إِلَى هَذَا الْقَمْطَرِ، وَأَحْضِرِ السَّفَرَ الْعَاشَرَ مِنْ كِتَابِ «نَهَايَةِ الْأَرْبِ»، لِأَقْرَأَ عَلَيْكَ نُبْدَةً شَائِقَةً مِمَّا كَتَبَهُ مُؤَلِّفُهُ عَنِ النَّمْلِ.» فَاسْرَعَ «فَاضِلٌ» إِلَى الْقَمْطَرِ. وَأَحْضَرَ السَّفَرَ الْعَاشَرَ مِنْ «نَهَايَةِ الْأَرْبِ»، فَقَرَأَ عَلَيْهِ أَبُوهُ الْقِطْعَةَ الَّتِي اخْتَارَهَا لَهُ، مِنْ ذَلِكَ السَّفَرِ النَّفِيسِ وَإِلَيْكَ مَا اخْتَارَهُ:

وَالنَّمْلُ مِنَ الْحَيَوَانِ الْمُحْتَالِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ. يَتَفَرَّقُ لِذَلِكَ، فَاذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ، فَيَأْتِيَنَ إِلَيْهِ، وَيَأْخُذْنَ مِنْهُ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مُجْتَهِدٌ فِي إِصْلَاحِ شَأْنِ الْعَامَّةِ، غَيْرُ مُخْتَلِسٍ لَشَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ دُونَ صَحْبِهِ. وَمَنْ تَحِيلَهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ: أَنَّهُ رُبَّمَا وُضِعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْهُ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنْ مَاءٍ أَوْ شَعْرِ، فَيَنْسَلِقُ فِي الْحَاطِطِ، وَيَمْشِي عَلَى جِذْعٍ مِنَ السَّقْفِ، حَتَّى يُسَامِتَ (يُقَابِلُ وَيُوزِي) مَا حُفِظَ مِنْهُ، ثُمَّ يُلْقِي نَفْسَهُ عَلَيْهِ. وَفِي طَبِيعِهِ وَعَادَتِهِ أَنْ يَحْتَكِرَ (يَجْمَعَ وَيَحْتَبِسَ) — فِي زَمَنِ الصَّيْفِ — لِرِزْمِ الشِّتَاءِ. وَهُوَ إِذَا خَافَ — عَلَى مَا يَدَّخِرُهُ مِنَ الْحُبُوبِ — الْعَفْنَ، وَالسُّوسَ، أَوْ التَّنَدِّيَ مِنْ مُجَاوَرَةِ بَطْنِ الْأَرْضِ: أَخْرَجَهَا إِلَى ظَاهِرِ الْأَرْضِ، حَتَّى تَبْسَ، ثُمَّ يَعِيدُهَا. وَإِنْ خَافَ عَلَى الْحَبِّ أَنْ يَنْبَتَ مِنْ نَدَاوَةِ الْأَرْضِ، نَقَرَ فِي مَوْضِعِ الْقُطْمِيرِ مِنْ وَسْطِ الْحَبَّةِ (وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَنْبَتُ مِنْهُ النَّبَاتُ)، وَيَفْلُقُ جَمِيعَ الْحَبِّ أَنْصَافًا. فَإِنْ كَانَ مِنْ حَبِّ الْكُزْبَرَةِ فَلَقَهُ أَرْبَاعًا، لِأَنَّ أَنْصَافَ حَبِّ الْكُزْبَرَةِ تَنْبَتُ.

فَالنَّمْلُ — مِنْ هَذَا الْوَجْهِ — فِي غَايَةِ الْحَزْمِ، فَسُبْحَانَ الْمُلْهِمِ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ. وَلَيْسَ شَيْءٌ — مِنَ الْحَيَوَانِ — يَقْوَى عَلَى حَمْلِ مَا يَكُونُ ضِعْفُ وَزْنِهِ مَرَارًا: غَيْرُ النَّمْلَةِ. وَالنَّمْلُ يَشُمُّ مَا لَيْسَ لَهُ رِيحٌ، مِمَّا لَوْ وَضَعَهُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ أَنْفِهِ، لَمَا وَجَدَ لَهُ رِيحًا.

وَمِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ النَّمْلَةِ، نَبَاتُ الْأَجْبَحَةِ لَهَا. فَإِذَا صَارَ النَّمْلُ كَذَلِكَ، صَادَتْهُ الْعَصَافِيرُ، وَأَكَلَتْهُ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو الْعَنَاهِيَّةِ:

«وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْبَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ، فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ»

وَلَمَّا انْتَهَى «أَبُو فَاذِلٍ» مِنْ قِرَاءَةِ هَذَا الْفَصْلِ الْمُعْجَبِ النَّفِيسِ، امْتَلَأَتْ نَفْسُ «فَاذِلٍ» فَرَحًا بِمَا أَذْرَكَ مِنْ حَقَائِقٍ. وَكَانَ لِهَذَا الدَّرْسِ أَبْلَغُ الْأَثَرِ فِي نَفْسِهِ.

(١٢) فِي غُرْفَةِ الْمَائِدَةِ

وَنَعُودُ إِلَى صَاحِبَتِنَا «أُمِّ مَارِزٍ» الَّتِي لَبِثَتْ فِي مَكَانِهَا مُخْتَبِئَةً لَا تُبْدِي أَقْلَ حَرَكَ، لِنَرَى: مَاذَا فَعَلَتْ؟

لَقَدْ جَهَدَهَا مَا لَقِيَتْ مِنْ إِزْهَاقٍ وَإِعْنَاتٍ، فَاسْتَسَلَمَتْ لِلنَّوْمِ الْعَمِيقِ، وَظَلَّتْ تَحْلُمُ بِالْبَرَاغِيثِ الشَّهِيَّةِ مَرَّةً، وَبِفَطِيرَةِ الْبُرْتُوقِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ مِنْ سُبَاتِهَا، رَأَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ قَدْ نَامُوا جَمِيعًا، وَسَادَ الصَّمْتُ وَالسُّكُونُ، وَانْطَفَأَتِ الْأَضْوَاءُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا بَصِيصُ ضَيْئِلٍ، كَانَ يُرْسِلُهُ الْقَمَرُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْمَطْبَخِ.

فَتَسَجَّعَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» وَخَرَجَتْ مِنْ مَخْبِئِهَا، بَاحِثَةً — فِي جَمِيعِ الْأَرْجَاءِ — عَنْ ثَقْبٍ تَنْفُذُ مِنْهُ إِلَى خَارِجِ الْبَيْتِ. وَمَا زَالَتْ تَسِيرُ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى حُجْرَةِ الْمَائِدَةِ، وَهِيَ حُجْرَةٌ فَسِيحَةٌ مُنْسَقَةٌ أَجْمَلُ تَنْسِيقٍ. ثُمَّ وَقَفَتْ وَاجِمَةً قَلِقَةً، لِأَنَّهَا سَمِعَتْ جَمَجَمَةً بِالْقُرْبِ مِنْهَا.

وَضَلَّتْ تُنْصِتُ، لِيَتَنَبَّتَ مِمَّا سَمِعَتْهُ، فَطَرَقَ سَمْعَهَا صَوْتُ ضَيْلٍ. فَهَمَسَتْ «أُمِّ مَازِنَ» قَائِلَةً: «تَرَى: مِنَ الطَّارِقِ؟»

فَسَمِعَتِ الصَّوْتَ وَاضِحًا: تَكْ، تَكْ؛ ثُمَّ ارْتَفَعَ الصَّوْتُ صَاحًا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ: رن ... رن ... رن ...! إِذَاذَا بِأَنَّ السَّاعَةَ الثَّالِثَةَ الْآنَ.

فَاشْتَدَّ رُغْبُ «أُمِّ مَازِنَ»، وَهَرَبَتْ مُسْرِعَةً، وَهِيَ لَا تَعْرِفُ: إِلَى أَيْنَ تَقْصِدُ؟ وَلَا تَهْتَدِي إِلَى مَخْرَجٍ لَهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُوْجِسِ الْمُخِيفِ: وَكَانَ الظَّلَامُ حَالِغًا، وَالسُّكُونُ يَسُودُ أَهْلَ الْبَيْتِ.

وَانْسَلَتْ «أُمِّ مَازِنَ» الصَّغِيرَةُ مِنْ تَحْتِ الْبَابِ، بَاحِثَةً عَنْ مَنْقِذٍ تَخْرُجُ مِنْهُ، فَإِذَا بِهَا قَدْ عَادَتْ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ. وَرَجَعَتْ إِلَى الْمَطْبِخِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ.

(١٣) فِي الْمَطْبِخِ

وَلَمْ يَكَدْ يَقَرُّ قَرَارُهَا فِي الْمَطْبِخِ، حَتَّى أَبْصَرَتْ دَابَّةً تَقْرُضُ تَحْتَ خِوَانٍ، وَهِيَ جَادَّةٌ فِي عَمَلِهَا، فَقَالَتْ «أُمِّ مَازِنَ»: «مَا أَشَبَهَ هَذِهِ الدَّابَّةَ بِأُمِّ رَاشِدٍ وَأُمِّ أَدْرَاسٍ! وَإِنْ كَانَتْ أَضْحَمَ مِنْهُمَا. عَلَى أَنَّ أَنْفَهَا الْمُحَدَّدَ يُمَاطِلُ أَنْفَيْهِمَا، وَلَا يَفْتَرِقُ عَنْهُمَا فِي شَيْءٍ. وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ لَيَسَتْ إِلَّا فَارَةً، فَلَا أَضِيعَنَّ الْفُرْصَةَ. وَلَا بُدَّ مِنْ سُؤْلِهَا، لَعَلَّهَا تُرْشِدُنِي إِلَى وَسِيلَةٍ لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ.

ثُمَّ أَسْرَعَتْ «أُمِّ مَازِنَ» إِلَى الدَّابَّةِ السَّمْرَاءِ. وَلَكِنَّهَا رَأَتْ عَيْنَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ خَضِرَاوَيْنِ تَقْدَحَانِ نَارًا، فَلَمْ تَدْرِ: أَيُّ عَيْنَيْنِ هَاتَانِ؟

وَأَرْهَفَتْ سَمْعَهَا، فَلَمْ تَسْمَعْ إِلَّا صَوْتَ الْفَارَةِ الصَّغِيرَةِ، وَهِيَ تَقْرُضُ بِأَسْنَانِهَا. فَاسْتَأْنَفَتْ «أُمِّ مَازِنَ» سَيْرَهَا، وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا: «لَقَدْ كُنْتُ وَاهِمَةً — بِلا رَيْبٍ — فِيمَا حَسِبْتُهُ فَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنَّي أَرَى عَيْنَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ تَقْدَحَانِ نَارًا، فَلَمَّا أَنْعَمْتُ النَّظَرَ، لَمْ أَعَثِّرْ لَهُمَا عَلَى أَثَرٍ. وَلَعَلَّ سَبَبَ هَذَا الْوَهْمِ عَائِدٌ إِلَى ضَعْفِ أَعْصَابِي، الَّتِي أَضْنَاهَا مَا بَدَلْتُهُ مِنَ الْجُهْدِ، وَكَابَدْتُهُ مِنَ الْعَنَاءِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ.»

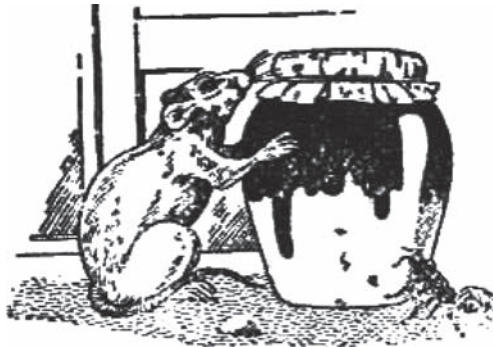
ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَى الْفَارَةِ، قَائِلَةً: «سَعِدَ لَيْلُكَ، يَا سَيِّدَتِي الْفَارَةُ!»

فَقَالَتْ لَهَا الْفَأْرَةُ مُسْتَعْجِبَةً: «سُعِدْتَ وَسَلِمْتَ، يَا عَزِيزَتِي ... آه ... إِنَّكَ نَمَلَةٌ صَغِيرَةٌ ... فَأَيُّ حَادِثٍ أَتَى بِكَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ، الْإِهْلِلِ بِسَاكِنِيهِ؟ لَقَدْ عَرَّزْتَ بِنَفْسِكَ (عَرَّضْتَهَا لِلْهَلَاكِ) فَإِنَّكَ مُسْتَهْدِفَةٌ لِلْأَخْطَارِ، إِذَا أَصْرَرْتَ عَلَى الْبَقَاءِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَمَا أَيْسَرَ عَلَى أَيِّ كَانَ أَنْ يَسْحَقَكَ بِقَدَمِهِ، عَنْ قَصْدٍ، أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ. فَارْجِعِي إِلَى وَادِيكَ، إِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ. فَمَا أَظْنُكَ قَدِمْتَ إِلَى هُنَا — أَيْتَهَا الشَّرْهَةُ الصَّغِيرَةُ — إِلَّا رَغْبَةً فِي أَنْ تَأْكُلِي مِنَ السُّكَّرِ، وَاللَّوَانِ الْحُلْوَى، وَالْفَطَائِرِ اللَّذِيذَةِ ... إِنَِّّي جِدُّ عَارِفَةٍ بِمَا تُؤْثِرِينَهُ مِنْ لَذَائِذِ الْأَطْعِمَةِ!»

فَقَالَتْ «أُمِّ مَارِنَ»: «كَلَّا، يَا سَيِّدَتِي الْفَأْرَةُ، مَا جِئْتُ هُنَا مُخْتَارَةً، بَلْ سَافَقْتَنِي الْمَقَادِيرُ مُرْغَمَةً إِلَى هَذَا السَّجْنِ. وَقَدْ بَذَلْتُ جُهْدِي، مُتَلَمِّسَةً مَنَفَذًا لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ، فَلَمْ أَوْفُقْ فِي سَعْيِي إِلَى الْآنَ. وَلَكِنْ خَرَيْتَنِي — مُتَفَضِّلَةً — بِكُنْيَتِكَ، لِأَكْرَمَكَ بِهَا إِذَا نَادَيْتُكَ.»

فَقَالَتْ لَهَا الْفَأْرَةُ: «كُنْيَتِي — أَيْتَهَا الْعَزِيزَةُ — هِيَ أُمِّ دَرِصٍ.»

وَلَمْ تَكَدْ «أُمِّ دَرِصٍ» نُبِتْ هَذِهِ الْجُمْلَةَ، حَتَّى سَمِعَتْ حَرَكَةَ تَنَبُّعٍ مِنْ رُكْنٍ مُظْلِمٍ. فَرَفَعَتْ «أُمِّ دَرِصٍ» أَطْرَافَ أَنْفِهَا، وَأُذُنَيْهَا، مُرْتَاعَةً؛ ثُمَّ سَرَّى عَنْهَا حِينَ تَلَفَّتَتْ فَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا فِي الْحُجْرَةِ فَقَالَتْ سَاخِرَةً: «مَا أَشَدَّ غَبَائِي وَجُبْنِي! فَإِنِّي دَائِمَةٌ الْخَوْفِ مِنَ الْقِطِّ، لِأَنَّ أُمِّي طَالَمَا حَدَرْتَنَا مِنْهُ، وَأَوْهَمْتَنَا أَنْ خَطَرُهُ لَا يُدْفَعُ، وَأَنَّ بَأْسَهُ مَرْهُوبٌ.»



وَقَدْ طَالَمَا حَدَّثْتُنَا أَحَادِيثَ مُفْرَعَةٍ عَنِ الْقِطَاطِ، وَمَصَايِدِ الْفَارِ. وَقَدْ حَظَرْتُ عَلَيْنَا الدُّخُولَ فِي هَذَا الْمَطْبَخِ الْحَافِلِ بِأَشْهَى الْأَطْعِمَةِ ...

وَلَكِنِّي لَنْ أَعْبَأَ بِنَصِيحَتِهَا — فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — فَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّهَا تُغَالِي فِي الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ، مِمَّا لَا يُخِيفُ وَلَا يُفَزِعُ ...

أَلَا تَرَيْنَ هَذَا الْبَابَ أَيْتُهَا النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ؟ إِنَّ خَلْفَهُ مِنْ نَفَائِسِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَذَائِذِ الْمَآكِلِ الْمُرْتَقِيَاتِ، مَا يُنْسِي الْجَبَانَ جُبْنَهُ، وَيَجْعَلُهُ شَجَاعًا جَرِيئًا يَسْتَهِينُ بِالْأَخْطَارِ، وَلَا يُبَالِي بِالْعَوَاقِبِ ...

إِنَّهُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ أَلْوَانِ الْخُبْزِ، وَالْأَرْزِ، وَالْجُبْنِ اللَّذِيزِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الطَّعَامِ ...

أَلَا تَشْمِئِنَ هَذِهِ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ؟ لَقَدْ طَالَمَا نَعِمْتُ بِإِفْتِحَامِ هَذَا الْبَابِ، وَأَكَلْتُ مَا شِئْتُ مِنْ هَذِهِ اللَّذَائِذِ ... ثُمَّ عُدْتُ إِلَى أَهْلِي رَاضِيَةً مَسْرُورَةً ... فَإِنَّ أَسْرَتِي تَقْطُنُ مُسْتَوْدَعِ الْقَمَحِ الْقَرِيبِ مِنْ هَذِهِ الْحُجْرَةِ حَيْثُ تُخْفِي زَادَنَا مِنَ الْجَوْزِ، وَ ...

وَهُنَا وَقَفْتُ «أُمِّ دِرْصِ» عَنِ الْكَلَامِ، فَقَدْ سَمِعْتُ الْحَرَكَهَ تَتْبَعُ مِنَ الرُّكْنِ الْمُظْلَمِ، مَرَّةً أُخْرَى. وَالتَفَتْتُ «أُمِّ مَارِزٍ» فَرَأَتِ الْعَيْنَيْنِ الْبَرَّاقَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ تَقْدَحَانِ بِالشَّرَرِ.

وَكَانَتِ الْقِطْعَةُ — فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — قَرِيبَةً مِنْهَا، فَارْتَجَفَتْ «أُمِّ مَارِزٍ». وَلَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَتْ الْقِطْعَ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَلَمْ تَسْتَبِنْ — مِنْ خِلَالِ الظَّلَامِ — إِلَّا عَيْنَيْهِ، فَقَالَتْ مَذْعُورَةً: «الزَّيْمِي الصَّمْتِ، يَا «أُمِّ دِرْصِ». فَإِنِّي أَتَوَجَّسُ شَرًّا، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّي أَرَى شَيْئًا مُخْتَبِئًا فِي بَعْضِ الزَّوَايَا.»

(١٤) غُرُورُ الْفَارَةِ

فَقَالَتْ «أُمِّ دِرْصِ» هَارِثَةً: «ها! ها! ها! يا لَكَ مِنْ رِعْدِيَّةٍ خَائِرَةٍ الْعَزْمِ! عَلَى أَنَّ مَجَالَ الْعُذْرِ أَمَامَكَ فَسِيحٌ، لِأَنَّكَ حَشَرَةٌ ضَعِيفَةٌ الْحَوْلِ وَالطَّوْلِ ... أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ جَدِيرَةً أَنْ أَخْشَى كَاتِنًا كَانَ ... إِنَّنِي لَا أَبَالِي بِالنَّاسِ، وَلَا بِمَصَايِدِ الْفَارِ، وَلَا بِالْقِطَاطِ، لِأَنَّي عَاقِلَةٌ رَشِيدَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ أُمِّي تَأْبَى إِلَّا أَنْ تُعَامِلَنِي كَمَا تُعَامِلُ طِفْلَةً صَغِيرَةً.

وَلَهَا الْعُذْرُ فَإِنَّ حُبَّ الْأُمّهَاتِ كَثِيرًا مَا يَدْفَعُهُنَّ إِلَى تَخْوِيفِ بَنَاتِهِنَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ...
إِنِّي جَرِيئَةُ الْقَلْبِ، يَا «أُمِّ مَارِزٍ»، وَقَدْ كُنْتُ أَقْرِضُ الْأَرْزَ أَمْسَ — فِي هَذَا الْمَكَانِ
— فِي وَضَحِ النَّهَارِ، أَمَامَ رَبَّةِ الدَّارِ، وَعَلَى مَرَأَى مِنْهَا ... وَقَدْ شَعَرْتُ — أَوَّلَ مَرَّةٍ
— بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ، ثُمَّ عَاوَدَتْنِي الشَّجَاعَةُ ... وَلَعَلَّكَ لَا تَعْرِفِينَ: مَاذَا فَعَلْتُ؟»
فَقَالَتْ لَهَا «أُمِّ مَارِزٍ»: «كَلَّا، لَا أَعْرِفُ شَيْئًا!»

فَقَالَتْ «أُمِّ دِرْصٍ»: «إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَفْتَحُ هَذِهِ الْغِرَارَةَ (الزَّكِيَّةَ) الَّتِي أَمَامَنَا، حَتَّى
قَفَزْتُ فِي وَجْهِهَا. فَاشْتَدَّ خَوْفُهَا وَلَازَتْ بِالْفِرَارِ، وَصَاحَتْ تَطْلُبُ النُّجْدَةَ. وَسَأَلَجَا إِلَى
هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَتَى رَأَيْتُ قِطًّا!»

(١٥) نَشِيدُ الْفَارَةِ

وَمَا زَالَتْ «أُمِّ دِرْصٍ» سَابِحَةً فِي أَحْلَامِهَا، مُتَظَاهِرَةً بِالْجُرْأَةِ، مُسْتَهِينَةً بِالْأَخْطَارِ، غَيْرَ
مُقَدَّرَةٍ لِلْعَوَاقِبِ حِسَابًا. ثُمَّ خَتَمَتْ غُرُورَهَا، مُتَعَنِّيَةً بِالْأَنْشُودَةِ التَّالِيَةِ:

حَدَّثْتُ أُمِّي، وَمَا أَعُ —	جَبَ مَا قَالَتْهُ أُمِّي!
«حَدَّثْتُنَا بِحَدِيثٍ	كَانَ وَهْمًا: أَيَّ وَهْمٍ!
حَدَّثْتُنَا أَنَّ بَأْسَ الْ —	قِطٍّ: مَرْهُوبٍ، مُخِيفٍ
وَهُوَ — فِي رَأْيِي — جَبَانٌ	خَائِرُ الْعِزْمِ، ضَعِيفُ
إِنْ رَأَى — مِثْلِي — سَ —	بَاقًا، تَوَانَى عَنْ لِحَاقِهِ
أَيَّنَ بَأْسَ الْقِطِّ مِنْ بَأْ —	سِي؟ وَسَبَقِي مِنْ سِبَاقِهِ؟!
أَبْلِغُوا الْقِطَّةَ عَنِّي:	«أَنِّي أَشْجَعُ مِنْهَا
لَسْتُ أَخْشَاهَا، وَلَا أَف —	زَعُ إِنْ حَدَّثْتُ عَنْهَا!»
لَيْتَهَا تَبْدُو أَمَامِي	لِتَرَى عِزْمِي، وَبِأْسِي
عَلَنِي أَلْقَى عَلَيْهَا	— إِنْ أَتَتْ — أَبْلِغْ دَرِصَ
عَلَّهَا تُؤْمِنُ أَنَّ الْ —	فَارَ لَا تَرْضَى الْفِرَارَا
وَتَرَى أَنِّي عَنِيدٌ	— فِي صِرَاعِي — لَا أَبَارِي
وَتَرَى مِنَّا — إِذَا تُر —	نَا — أَشَدَّاءَ كِرَامَا

لَا يُبَالُونَ - إِذَا مَا غَضِبُوا - الْمَوْتَ الزُّوَامَا!

(١٦) نَشِيدُ الْقِطِّ

وَمَا كَادَتْ «أُمُّ دِرْصٍ» تَتِمُّ آخِرَ كَلِمَةٍ فِي هَذَا النَّشِيدِ، حَتَّى امْتَلَأَ قَلْبُهَا دُغْرًا. فَوَقَفَتْ الْمُسْكِينَةُ عَنِ الْكَلَامِ، وَقَفَتْ شَعْرُهَا مِنْ فَرَطِ الرَّعْبِ، وَجَحَظَتْ عَيْنَاهَا، وَصَاحَتْ، وَهِيَ تَزْتَجِفُ: «رَبِّاهُ! مَاذَا أَرَى؟

أَدْرِكْنِي يَا أُمَّاهُ! إِنَّهُ الْقِطُّ. فَمَا حِيلَتِي فِي دَفْعِهِ؟
وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا الْقِطُّ يُطَارِدُهَا، وَيُنْشِدُ تَائِهًا مَرْهُوًّا:

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ: أَهْلًا	بِكَ إِذْ جِئْتَ وَسَهْلًا
قَدْ تَمَنَيْتَ لِقَائِي	ضَلَّةً مِنْكَ، وَجَهْلًا
أَنْتَ لِي أَفْحَرُ زَادٍ	أَنْتَ لِي أَشْهَى طَعَامَ
فَتَأْهَبْ لِلِقَائِي	وَاعْنَمِ الْمَوْتَ الزُّوَامَ.

وَضَلَّتْ «أُمُّ دِرْصٍ» تَجْرِي فِي أَرْجَاءِ الْمَطْبَخِ، عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَالْقِطُّ يُطَارِدُهَا وَيَسُدُّ عَلَيْهَا مَنَاغِذَ الْهَرَبِ؛ وَهِيَ تُغَوِّثُ، طَالِبَةً النَّجْدَةَ، فَلَا يُغَيِّثُهَا أَحَدٌ.

وَكَانَتْ «أُمُّ دِرْصٍ» خَفِيفَةَ الْحَرَكَةِ، سَرِيعَةَ الْقَفْزِ، فَأَسْرَعَتْ إِلَى جُحْرِهَا، حَتَّى إِذَا دَانَتْهُ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى بُلُوغِهِ إِلَّا قَفْزَتَانِ، أَدْرَكَ «أَبُو خَدَاشٍ» غَرَضَهَا، فَوَثَبَ عَلَيْهَا وَثَبَّةً وَاحِدَةً، فَإِذَا هِيَ بَيْنَ مَخَالِبِهِ.

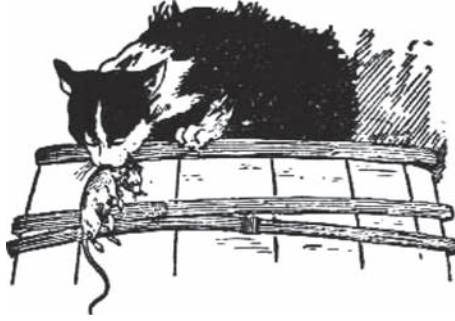
وَهَكَذَا حَالَ دُونَ مَا تُرِيدُ، وَبَدَّلَ أَمَلُهَا يَأْسًا، وَأَصْبَحَتْ بَيْنَ بَرَاثِنِ الْمَوْتِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ أَقْرَبَ مَا تَكُونُ إِلَى النِّجَاةِ؛ فَلَمْ تَرِ بُدًّا مِنْ مُعَاوَدَةِ النِّضَالِ.

(١٧) عَاقِبَةُ الْغُرُورِ



فَانْسَلَّتْ مِنْ بَيْنِ أَرْجُلِ عَدُوِّهَا اللَّدُودِ، وَأَسْرَعَتْ تَجْرِي بِكُلِّ سُرْعَتِهَا، حَتَّى وَجَدَتْ
مَكْنَسَةً فِي زَاوِيَةِ الْمَطْبَخِ، فَاحْتَبَأَتْ خَلْفَهَا، وَهِيَ تُعَلِّلُ نَفْسَهَا بِكَاذِبَاتِ الْأَمَانِيِّ، وَتَظُنُّ
أَنَّ «أَبَا خَدَاشٍ» لَنْ يَرَاهَا. وَتَقُولُ لِنَفْسِهَا نَادِمَةً مَحْزُونَةً: «لَيْتَنِي أَصْغَيْتُ إِلَى نَصِيحِكَ
يَا أُمُّاهُ! إِذَنْ لَنَجُوتُ مِنَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ، وَلَكِنَّ غُرُورِي أَوْرَدَنِي مَوَارِدَ الْهَلَاكِ ...
وَلَكِنَّ نَجُوتُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، لَمْ أَخَالَفْ لَكَ قَوْلًا بَعْدَ الْيَوْمِ!»

وَلَكِنَّ آمَالَ «أُمِّ دُرُصٍ» تَبَدَّدَتْ، وَذَهَبَتْ أَذْرَاجُ الرِّيحِ، فَقَدْ رَبَضَ «أَبُو خَدَاشٍ»
أَمَامَ الْمَكْنَسَةِ، وَظَلَّ يَتَرَقَّبُ فَرِيستَهُ، بِفَارِغِ الصَّبْرِ، وَهُوَ يَتَحَفَّزُ لِلْفَتْكِ بِهَا، وَالانْقِضَاضِ
عَلَيْهَا، وَقَدْ سَالَ لُعَابُهُ شَوْقًا إِلَى اِزْدِرَائِهَا. وَظَلَّ يُمِرُّ لِسَانَهُ عَلَى شَفَتَيْهِ مِرَارًا، وَهُوَ
فَرَحَانٌ بِهَذَا الْفُطُورِ الشَّهِيِّ الْوَشِيكِ!



وَمَا كَادَتْ «أُمُّ دِرْصٍ» تَطْلُ بِرَأْسِهَا الصَّغِيرِ، حَتَّى انْقَضَ عَلَيْهَا «أَبُو خَدَاشٍ»،
وَأَمْسَكَ بِهَا بَيْنَ مَخْلَبَيْهِ، فَقَالَتْ لَهُ ضَارِعَةً: «أَصْفَحْ عَنِّي — فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — يَا
أَبَا خَدَاشٍ! وَإِنِّي مُعَاهِدَتَكَ عَلَى تَرْكِ الدَّارِ ... أَغْفِرُ لِي — بِرَبِّكَ — هَذِهِ الرِّلَّةُ؛ فَلَنْ
أَعُودَ إِلَى اقْتِرَافِهَا بَعْدَ الْيَوْمِ.»

وَلَكِنَّ «أَبَا خَدَاشٍ» لَمْ يُصْغِ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تَقُولُ، وَأَمْسَكَ بِهَا بَيْنَ بَرَاثِنِهِ.
وَلَمْ تُطِقْ «أُمُّ مَازِنَ» أَنْ تَرَى مَصْرَعَ صَدِيقَتِهَا التَّاعِسَةِ الْمُسْكِينَةِ: «أُمُّ دِرْصٍ»،
الَّتِي عُوقِبَتْ عَلَى غُرُورِهَا وَبِلَاهَتِهَا أَشْنَعَ عِقَابٍ، فَاحْتَبَأَتْ «أُمُّ مَازِنَ» حَتَّى غَابَ «أَبُو
خَدَاشٍ»، وَمَعَهُ فَرِيسَتُهُ، الَّتِي خَالَفَتْ نُصْحَ أُمِّهَا فَلَقِيَتْ حَتْفَهَا جَزَاءً وَفَاقًا!

(١٨) بَيْنَ «فَاضِلٍ» وَ«كُوْثَرٍ»

وَلَمَّا أَصْبَحَتْ «أُمُّ مَازِنَ»، وَنَفَذَ — إِلَى الْمَطْبَخِ — أَوَّلُ شُعَاعٍ مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ
الْوَضَاءَةِ، أَقْبَلَتْ «أُمُّ مَازِنَ» عَلَى الْمَائِدَةِ، تَلَنَّهُمْ سَكْرًا مَسْحُوقًا وَظَلَّتْ تَأْكُلُهُ فِي سَرِهِ
عَجِيبٍ، شَأْنَ بَنَاتِ جِنْسِهَا جَمِيعًا.

وَإِنَّمَا لَتَلْتَهُمُ السُّكَّرُ الْتِهَامًا، إِذْ سَمِعَتْ صَوْتَ خُطَوَاتٍ ثَقِيلَةٍ، تَدْبُ فِي الْمَمْشَى،
وَرَأَتْ «كُوْثَرَ» قَادِمَةً عَلَى الْمَطْبَخِ.

فَقَالَتْ «أُمُّ مَازِنَ» فِي نَفْسِهَا: «لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْهَرَبِ، حَتَّى لَا تَرَانِي هَذِهِ الْفَتَاةُ،
فَتَهْلِكَنِي.»

وَرَأَتْ «أُمَّ مَازِنَ» أَمَامَهَا دُبَابَةً تَطِيرُ، صَوْبَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْهَا. فَاعْتَزَمَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْفَذِ، وَأَسْرَعَتْ تَعْدُو (تَجْرِي) إِلَى النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ، وَهِيَ حَرِيصَةٌ عَلَى أَنْ تَسْتَخْفِيَ عَنْ عَيْنِي «كُوْثَرُ» الَّتِي كَانَتْ مَشْغُولَةً بِإِعْدَادِ الْفُطُورِ ... وَمَا زَالَتْ «أُمُّ مَازِنَ» تَجِدُّ فِي سَيْرِهَا — بَعْزِمِ نَمْلَةٍ — حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى النَّافِذَةِ. وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكَدْ تَبْلُغْ حَافَتَهَا، حَتَّى هَالَهَا مَا رَأَتْ، فَقَدْ أَبْصَرَتْ هَاوِيَةً بَعِيدَةً الْغُورِ (شَدِيدَةَ الْعُمُقِ)، بَيْنَ النَّافِذَةِ وَالْأَرْضِ. فَحَارَتْ فِي أَمْرِهَا، وَلَمْ تَدْرِ: كَيْفَ تَصْنَعُ؟ وَتَرَاجَعَتْ — مِنْ قُورِهَا — خَائِفَةً مَدْعُورَةً، حَتَّى لَا تَتَرَدَّى (لَا تَسْقُطَ) فِي تِلْكَ الْهََاوِيَةِ السَّحِيقَةِ.

وَأَنَّهَا لَتَهُمْ بِالْعُودَةِ — مِنْ حَيْثُ أَتَتْ — إِذْ طَرَقَ سَمْعُهَا صَوْتُ «فَاضِلٍ» وَهُوَ يُنَادِي أُخْتَهُ «كُوْثَرُ»: «هَلْ أَعْدَدْتَ فُطُورِي، أَيَّتُهَا الشَّقِيقَةُ الْعَزِيزَةُ؟» فَقَالَتْ لَهُ «كُوْثَرُ» بِاسْمَةٍ: «لَقَدْ أَوْشَكْتُ أَنْ أَنْتَهِيَ مِنْهُ». فَصَاحَ «فَاضِلٌ» مُسْرُورًا: «انْظُرِي إِلَى هَذِهِ النَّمْلَةِ الصَّغِيرَةِ، الَّتِي تَسِيرُ حَائِزَةً عَلَى حَافَةِ النَّافِذَةِ، لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْهَا أُمْسَ، فَلَمْ أَفُزْ بِطَائِلٍ مِنْ بَحْثِي، وَهَا قَدْ عَثَرْتُ عَلَيْهَا الآنَ!»

فَقَالَتْ لَهُ «كُوْثَرُ»: «دَعَهَا — يَا عَزِيزِي — أَمَنَةً وَادِعَةً، وَلَا تَزْعَجْهَا». فَقَالَ لَهَا «فَاضِلٌ»: «كَلَّا، لَنْ أُصِيبَهَا بِسُوءٍ. وَلَكِنِّي حَرِيصٌ عَلَى دَرْسِ دَقَائِقِ تَرْكِيبِهَا الْعَجِيبِ».

(١٩) فِي الْهَوَاءِ الطَّلَقِ

وَلَكِنَّ «أُمَّ مَازِنَ» كَانَتْ تُؤَثِّرُ (تُفَضِّلُ) أَنْ تَمُوتَ عَلَى أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهَا أَحَدٌ. فَاسْرَعَتْ إِلَى حَافَةِ النَّافِذَةِ. وَاعْتَزَمَتْ أَنْ تَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ، كَيْدَهَا ذَلِكَ مَا كَيْدَهَا مِنْ عَنَاءٍ وَمُخَاطَرَةٍ! فَتَقَدَّمَتْ إِلَى الْحَائِطِ فِي صَبْرٍ وَثَبَاتٍ، وَأَنْشَبَتْ أَرْجُلَهَا مُتَسَبِّئَةً بِهِ. وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكَدْ تَخْطُو خُطَوَاتٍ ثَلَاثًا، حَتَّى انْقَلَبَ رَأْسُهَا إِلَى أَسْفَلِ، وَاحْتَلَّتْ تَوَازُنُهَا، فَهَوَتْ مِنْ ارْتِفَاعٍ طَائِقٍ كَامِلٍ. وَقَدْ كَانَ هَذَا الِارْتِفَاعُ كَافِيًا لِقَتْلِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنَ النَّمْلَةِ؛

وَلَكِنَّهَا نَجَتْ مِنَ الْخَطَرِ - لِحُسْنِ حَظِّهَا - فَقَدْ اعْتَرَضَتْهَا وَرَقَةٌ كَرِيمٌ، فَحَمَتُهَا مِنْ أَنْ تُصَابَ بِسُوءٍ.

وَانْطَلَقَتْ «أُمُّ مَازِنَ» تَجِدُ فِي طَرِيقِهَا، إِلَى بَيْتِهَا، وَقَدْ أَصْبَحَتْ آمِنَةً فِي الْهَوَاءِ الطَّلَقِ ... وَمَا زَالَتْ جَادَّةً فِي السَّيْرِ حَتَّى اقْتَرَبَتْ مِنَ الْبَيْتِ.

(٢٠) فِي وَادِي النَّمْلِ

وَلَمْ تَكُنْ تَدُنُّو مِنْ وَادِي النَّمْلِ، حَتَّى رَأَتْ مَا أَدْهَشَهَا وَهَالَهَا، وَحَزَنَهَا وَأَقْلَقَ بِأَلْهَا. تُرَى: مَاذَا حَدَّثَ؟ وَأَيُّ خَطْبٍ أَلَمَ بِعَشِيرَتِهَا، وَحَلَّ بِقَوْمِهَا؟

لَقَدْ أَبْصَرَتْ طَوَائِفَ النَّمْلِ خَارِجَةً أَسْرَابًا أَسْرَابًا، ضَارِبَةً فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ (طُرُقِهَا)، عَلَى غَيْرِ هُدًى.

فَقَالَتْ «أُمُّ مَازِنَ» تُحَدِّثُ نَفْسَهَا مَدْهُوشَةً: «هَذَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُ فِي حَيَاتِي! وَمَا أَذْرِي: لِمَ خَرَجَتْ عَشِيرَتِي كُلُّهَا مِنْ دُورِهَا! أَتُرَاهُنَّ قَدْ خَرَجْنَ لِيُقَابِلَنَّنِي؟ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ!»

ثُمَّ أَبْصَرَتْ «أُمُّ مَازِنَ» صَاحِبَتَهَا «بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ» قَادِمَةً، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهَا أَمَارَاتُ الْأَرْتَبَاكِ وَالْحَيْرَةِ وَكَأَنَّهَا هِيَ هَارِبَةٌ، وَقَدْ حَمَلَتْ طِفْلاً صَغِيرًا.

فَصَاحَتْ بِهَا «أُمُّ مَازِنَ» قَائِلَةً: «سُعِدَ يَوْمُكَ، يَا «بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ» هَا أَنَا ذِي رَبِيبَتِكَ: «أُمُّ مَازِنَ» أَلَا تَعْرِفِينَنِي؟ مَا بِأَلِكِ خَائِفَةً وَجَلَةً؟»

فَقَالَتْ لَهَا «بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ»: «أِهْ لَنَا، يَا حَبِيبَتِي! وَوَاهٍ مِنْ تِلْكَ النَّكْبَةِ الَّتِي أَلَمْتَ بِنَا، أَيَّتُهَا الْعَزِيزَةُ!»

فَصَاحَتْ «أُمُّ مَازِنَ» مُرْتَاعَةً: «أَيَّ نَكْبَةٍ تَعْنِينِ؟»

فَأَجَابَتْهَا «بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ»: «لَقَدْ هَاجَمَتُنَا جُيُوشُ كَثِيفَةٌ مِنَ النَّمَالِ الشُّقْرِ الْخَبِيثَةِ، وَشَنَّتْ عَلَيْنَا غَارَةً شَعَوَاءَ. وَلَعَلَّكَ تَعْرِفِينَ أَنَّ أَوْلَيْكَ الشُّقْرَاوَاتِ طَالَمَا خَطَفْنَ بَنَاتِنَا، وَفَجَعُنَا فِي حَبِيبَاتِنَا. وَلَقَدْ كَاثَرَتُنَا بِعَدِيدِهِنَّ، وَمَلَأْنَ السَّهْلَ، وَمَلَكْنَ عَلَيْنَا فِجَاجَ

الْأَرْضِ كُلِّهَا. آه! أَلَا تَسْمَعِينَ؟ وَدَاعَا، يَا «أُمِّ مَازِنَ». فَإِنِّي هَارِبَةٌ، حَتَّى لَا أَقَعَ فَرِيصَةً لِّأُولَيْكَ الْخَبِيثَاتِ.»

(٢١) غَزْوَةُ النَّمْلِ



وَلَقَدْ صَدَقَتْ «بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ» فِيمَا قَالَتْهُ، فَإِنَّ جُبُوشَ الشَّقَرَوَاتِ — مِنْ نِمَالِ الْأَعْدَاءِ — كَانَتْ تَتَقَدَّمُ إِلَى وَادِي النَّمْلِ، زَاحِفَةً تُحَاوِلُ أَنْ تَكْتَسِحَ الْوَادِي. وَقَدْ رَتَبَتْ خُطَّةَ الْهُجُومِ وَالْغَزْوِ، وَسَارَتْ مُتَقَدِّمَةً فِي صُفُوفٍ مُتَرَاصَّةٍ. وَكَانَ الْقَادَةُ فِي مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ، مُسْتَبْسِلِينَ فِي الْحَرْبِ، وَقَدْ رَفَعُوا قُرُونَهُمْ مُهَيِّبِينَ (صَائِحِينَ) بِجُنُودِهِمْ: أَنْ تَقْدَمُوا إِلَى الْأَمَامِ، إِلَى الْأَمَامِ دَائِمًا!

وَكَانَتْ الشَّقَرَوَاتُ الْكَبِيرَاتُ آيَةً مِنْ آيَاتِ الْقَسْوَةِ، فَلَمْ تَرْحَمْ صَغِيرًا وَلَمْ تُوقِّرْ كَبِيرًا. وَاضْطَرَبَتْ أَسْرَابُ النَّمَالِ السُّودِ الصَّغِيرَةِ، وَتَفَرَّقَ حُرَاسُهَا أَشْتَاتًا، يُعَوِّثُونَ وَيَسْتَنْجِدُونَ. وَخَرَجَتْ جَمَاهِيرُ النَّمْلِ الْأَسْوَدِ، لِمَصِّ غَازَةِ الْأَعْدَاءِ، وَقَدْ آلَيْنَ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ أَنْ يَمْنَعْنَ وَايِدِيَهُنَّ، وَيَحْمِينَ وَطَنَهُنَّ، وَيَذُدْنَ عَنْ ذُرَارِيهِنَّ (نَسْلِهِنَّ)، بِإِذْلَالِ أَرْوَاحِهِنَّ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ حِمَايَةِ الْأَمَلِ وَالْوَطَنِ!

وَأَنْدَفَعْنَ — فِي شَجَاعَةٍ وَإِقْدَامٍ لَا مَثِيلَ لَهُمَا — يُحَارِبْنَ الْعَدُوَّ، وَيُجْلِبْنَ الْمُغِيرَاتِ، وَقَدْ بَذَلْنَ كُلُّ مَا وَسِعَتْهُ جُهُودُهُنَّ، وَأَبْلَيْنَ فِي الْحَرْبِ أَحْسَنَ بَلَاءٍ.

وَلَكِنَّ الشَّقَرَاوَاتِ الْكَبِيرَاتِ ظَلَلْنَ يَتَقَدَّمْنَ إِلَى الْأَمَامِ، مُسْتَهِينَاتٍ بِكُلِّ مَا يَتَعَرَّضْنَ لَهُ مِنْ أخطارٍ، وَقَدْ أَصْرَرْنَ عَلَى اقْتِحَامِ صُفُوفِ الْعَدُوِّ وَإِذْلَالِهِ، كَلَفَهُنَّ ذَلِكَ مَا كَلَفَهُنَّ، مِنْ جِهَادٍ وَفِدَاءٍ.

وَصَاحَ صَائِحُهُنَّ — مِنَ الْقَادَةِ — وَهَنَّ يَتَسَلَّقْنَ قِمَّةَ التَّلَّةِ، وَيَعْتَزِلْنَ ذُرُوءَ الرَّبُوءَةِ: «نَظَّمْنَ صُفُوفَكُنَّ — يَا حَفْدَةَ «الشَّيْصَبَانِ» — وَاسْتَطَلَّهِنَّ مَضَاءَ عَزْمِ أَسْلَافِكُنَّ. وَلَا تَنْسَيْنَ نَصِيحَةَ جَدِّنَا الْأَكْبَرِ: «الشَّيْصَبَانِ» الْعَظِيمِ، فَقَدْ أَصْبَحَ النَّصْرُ مِنَّا قَرِيبًا، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْكُنَّ إِلَّا خُطَوَاتُ بَيْسِرَةٍ تَقْهَرُنَّ — فِي إِثْرِهَا — الْعَدُوُّ؛ وَتَنْتَصِرُنَّ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْحَاسِمَةِ!»

فَسَارَتِ الشَّقَرَاوَاتُ، زَاحِفَاتٍ عَلَى أَعْدَائِهِنَّ، مُرَدِّدَاتٍ نَشِيدَ الْحَرْبِ الَّذِي حَفِظَتْهُ مِنْ أَسْلَافِهِنَّ، عَنْ جَدَّهِنَّ الْأَوَّلِ: «الشَّيْصَبَانِ» الْأَكْبَرِ.

(٢٢) نَشِيدُ الشَّيْصَبَانِ

وَكَانَتْ جَمَاعَاتُ النَّمْلِ الشُّقْرِ، جَادَّةً فِي طَرِيقِهَا إِلَى وَادِي الْأَعْدَاءِ، وَهَنَّ يَنْشُدْنَ النَّشِيدَ التَّالِيَّ مُتَحَمِّسَاتٍ:

يَا بَنَاتِ الشَّيْصَبَانِ:	قَدْ أَتَى يَوْمُ الطُّعَانِ
فَتَوَافَدْنَ أُلُوفًا	وَتَجَمَّعْنَ صُفُوفًا
وَاعْتَزِلْنَ الْهَضَبَاتِ	وَاقْتَحِمْنَ الْعَقَبَاتِ
ثُمَّ فَرَّقْنَ الْأَعَادِي	بَدَدًا فِي كُلِّ وَادِي!
يَا بَنَاتِ الشَّيْصَبَانِ:	قَدْ أَتَى يَوْمُ الطُّعَانِ
فَلْيَكُنْ يَوْمُ فَخَارٍ	وَابْتِهَاجٍ وَانْتِصَارٍ
لَا تَوَانَيْنَ، فَإِنَّا	— إِنْ تَوَانَيْتُنَّ — ضِعْنَا
فَلْتَدْكُدِكُنَّ الْجِبَالَ	وَلْتَذَلِّلَنَّ الْمُحَالَ!
يَا بَنَاتِ الشَّيْصَبَانِ:	قَدْ أَتَى يَوْمُ الطُّعَانِ

وَتَنَاسَيْنَ الرُّقَادَا	فَتَسَنَّنَ الْوَهَادَا
وَتَذَرَعْنَ بِجِدٍّ	وَتَسَامَيْنَ لِمَجِدٍّ
وَتَدَافَعْنَ سُيُولَا!	وَتَقَحَّمْنَ السُّهُولَا
قَدْ أَتَى يَوْمُ الطُّعَانِ	يَا بَنَاتِ الشَّيْصَبَانِ
مَجْدُهُ لَيْسَ يُهَانَ:	جَدُّكُنَّ الشَّيْصَبَانِ
فَلَنَمُوتَنَّ فِدَاءَهُ	إِنَّا نَحْمِي لَوَاءَهُ
ذَلَّ مَنْ يَخْشَى الْحِمَامَا!	وَلَنَمُوتَنَّ كِرَامَا

(٢٣) اِنْتِصَارُ الشَّقَرَاوَاتِ

وَسُرْعَانَ مَا اقْتَحَمَتِ الشَّقَرَاوَاتُ وَاِدِيَّ الْأَعْدَاءِ، بَاحِثَاتٍ عَنِ أَطْفَالِهِنَّ الصَّغَارِ، وَقَدْ تَمَّ لَهُنَّ الطَّفَرُ. وَعَدْنَ، وَفِي فَمِ كُلِّ شَقْرَاءٍ مِنْهُنَّ دُودَةٌ، أَوْ طِفْلٌ، مِنْ ذَرَارِيِّ النَّمَالِ السُّودَاءِ، وَهِيَ أَعَزُّ مَا لَدَيْهِنَّ فِي الْحَيَاةِ.

وَهَكَذَا انْتَهَتْ تِلْكَ الْحَرْبُ الطَّاحِنَةُ بِانْدِحَارِ السُّودَاوَاتِ، وَانْتِصَارِ الشَّقَرَاوَاتِ، وَامْتَلَأَتْ سَاحَةُ الْقِتَالِ بِالْقَتْلِ وَالْجَرْحِ، مِنَ السُّودَاوَاتِ، وَتَكَدَّسَتْ أَشْلَؤُهُنَّ أَكْدَاسًا. أَلَا قُبَحَتِ الْحَرْبُ! وَقَبَحَ كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ عَلَى إِثَارَتِهَا وَإِلْهَابِ نَارِهَا!...

(٢٤) مَجْمَعُ النَّمْلِ الْأَسْوَدِ

وَعَادَتْ جُيُوشُ الشَّقَرَاوَاتِ فَرِحَاتٍ بِانْتِصَارِهِنَّ، وَقَدْ حَمَلْنَ أَسْلَابَ أَعْدَائِهِنَّ، وَرَجَعْنَ بِغَنَائِمِهِنَّ النَّمِيَّةِ. وَلَوْ رَأَيْتُمُوهُنَّ — أَيُّهَا الْأَطْفَالُ الْأَعْرَاءُ — لَرَأَيْتُمْ آفَافًا مِنَ الْقُشُورِ الْبَيْضَاءِ، سَائِرَةً خِلَالَ الْحَشَائِشِ الْخَضْرَاءِ.

وَمَا أَظُنُّكُمْ تَجْهَلُونَ تِلْكَ الْقُشُورَ الْبَيْضَ، فَهِيَ ذَرَارِيُّ النَّمَالِ السُّودِ الَّتِي حَمَلَتْهَا الشَّقَرَاوَاتُ إِلَى وَاِدِيهِنَّ الْبَعِيدِ.

وَنَعُودُ إِلَى «أُمِّ مَارِزِينَ» لِنَرَى مَا فَعَلَتْهُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمُعْرَكَةِ الطَّاحِنَةِ. وَالْحَقُّ أَقُولُ — أَيُّهَا الْقُرَّاءُ الْأَعْرَاءُ — إِنَّ هَذِهِ النَّمْلَةَ الْبَاسِلَةَ قَدْ اسْتَبَسَلَتْ فِي الدَّفَاعِ، وَاسْتَمَاتَتْ فِي سَبِيلِ الدَّوْدِ عَنِ الْوَطَنِ وَالْعَشِيرَةِ، وَقَاتَلَتْ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ،

حَتَّى خَرَّتْ صَرِيعةً فِي الْمَيْدَانِ، وَرَقَدَتْ بَيْنَ الْأَشْلَاءِ، وَهِيَ إِلَى الْمَوْتِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى الْحَيَاةِ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَتْ السُّودَاوَاتُ بِأَحْيَاتٍ عَنِ الْجَرْحَى، وَاسْتَيْقَظَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» مِنْ رَقَدَتِهَا، فَجَمَعَتْ تَقُولُ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ: «تُرَى: أَيْنَ أَنَا؟»

وَرَأَاهَا صَوَاحِبُهَا، وَهِيَ تُحَرِّكُ إِحْدَى أَرْجُلِهَا، فَتَقَدَّمَتْ إِحْدَاهُنَّ إِلَيْهَا، وَصَاحَتْ قَائِلَةً: «آه! هَا هِيَ «أُمُّ مَارِزٍ»! يَا عَزِيزَاتِي! فَهَلُمِّي أَيَّتُهَا الرَّفِيقَةُ الْبَاسِلَةُ!»

فَنَهَضَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» مِنْ رَقَدَتِهَا. وَبَذَلَتْ جُهْدًا شَدِيدًا، حَتَّى اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَقِفَ عَلَى أَقْدَامِهَا، وَظَلَّتْ تُحَرِّكُ أَرْجُلَهَا لِتَتَفَقَّدهَا. فَلَمَّا اطْمَأْنَنْتْ بِوُجُودِهَا، حَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى السَّلَامَةِ، وَقَالَتْ: «شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى أَنَّي لَمْ أَصَبْ بِسُوءٍ، وَلَمْ تُكْسِرْ لِي قَدَمٌ وَاحِدَةً فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الطَّاحِنَةِ.»

ثُمَّ سَارَتْ مُسْتَنِدَةً إِلَى إِحْدَى رَفِيقَاتِهَا، وَمَا زَالَتْ تَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قَاعَةِ الْجَمْعِ، فَرَأَتْ جَمَهَرَةً مِنَ النِّمَالِ تَتَحَدَّثُ وَتُنَاقِشُ مُنَاقِشَاتٍ حَادَّةً.

وَسَمِعَتْ إِحْدَاهُنَّ تَقُولُ: «هَلْ وَضَعْتُنَّ حَارِسَاتٍ عِنْدَ السِّيَاحِ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؟» فَأَجَابَتْهَا نَمْلَةٌ أُخْرَى: «لَمْ يَفْتُنَّا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ — بِلَا رَيْبٍ — فَقَدْ وَقَفْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْحَارِسَاتِ فِي الْجَبْهَةِ الْأُخْرَى، وَإِنِّي جِدُّ وَاثِقَةٌ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْمَأْسَاءَ الْمُفْجَعَةَ لَنْ تَتَكَرَّرَ بَعْدَ الْيَوْمِ.»

فَقَالَتْ نَمْلَةٌ ثَالِثَةٌ: «لَقَدْ جَاءَتْ «بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ» سَعِدَ مَسَاوُكُ، أَيَّتُهَا الْأُخْتُ الْعَزِيزَةُ. خَبَرِينَا مَاذَا تَحْمِلِينَ؟ إِنِّي أَرَاكِ تَحْمِلِينَ طِفْلًا!

يَا لِلَّهِ! لَقَدْ حَسَبْنَاكِ فِي عِدَادِ الْهَلَكَى، أَيَّتُهَا الرَّفِيقَةُ الْكَرِيمَةُ!»

فَقَالَتْ «بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ» بَعْدَ أَنْ وَضَعَتْ طِفْلَهَا أَمَامَهُنَّ: «أَسْعَدَ اللَّهُ مَسَاءَكُنَّ يَا عَزِيزَاتِي! أَلَا تَرَيْنَ أَنَّي لَمْ أَضِعْ وَقْتِي عَبَثًا؟ فَقَدْ انْسَلَخْتُ فِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ، وَخَبَأْتُهُنَّ فِي ذَلِكَ الثَّقَبِ الْأَمِينِ، الَّذِي فِي جِذْعِ شَجَرَةِ الْبُرْقُوقِ.»

فَقُلْنَ لَهَا: «أَيَّ شَيْءٍ خَبَأْتَ فِي جِذْعِ الْبُرْقُوقَةِ، يَا بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ؟»

فَقَالَتْ مَرْهُوَّةٌ فَخُورَةً: «لَقَدْ حَبَّأْتُ الْأَطْفَالَ الْأَعْرَاءَ! فَقَدْ انْسَلَلْتُ إِلَى وَادِينَا خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَحَمَلْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ طِفْلاً، وَهَا هُوَ ذَا أَحَدَ الْأَطْفَالِ! فَتَعَالَيْنِ مَعِيَ، لِنُحْضِرَ الْبَاقِينَ.»

فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ الثَّنَاءِ وَالْإِعْجَابِ بِهَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، وَقُلْنَ لَهَا: «يَا لِكَ مِنْ مُرْضِعٍ نَبِيلَةٍ، يَا بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ! فَالِكَ مِنَّا أَطْيَبُ الشُّكْرِ، وَأَجَلُّ الْاِحْتِرَامِ.»

(٢٥) خُطْبَةُ «أُمِّ مَشْغُولٍ»

وَأَرَادَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» أَنْ تَتَعَرَّفَ عَدَدَ الْقَتْلَى، فَاقْتَرَحَتْ عَلَى صَدِيقَتِهَا «أُمِّ نَوْبَةَ» أَنْ تُنَادِيَ الْأَسْمَاءَ.. وَلَمْ تَكَدْ تَفْعَلْ، حَتَّى ظَهَرَ أَنَّ عَدَدَ الْقَتْلَى قَدْ فَاقَ كُلَّ حُسْبَانٍ.

وَقَالَتْ «أُمُّ نَوْبَةَ»: «وَلَقَدْ هَلَكَ — فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ الْهَائِلَةِ — كَثِيرٌ مِنَ الْقَوَادِ، مِنْهُمْ: الْعُجْرُوفُ، وَالْدُّعْبُوبُ، وَالِدَّاعِمَةُ، وَالْجَفْلُ، وَالْجَلُّ. وَهَلَكَتْ السُّمْسُمَةُ؛ وَهِيَ رَعِيمَةُ جَيْشِ الْأَعْدَاءِ، وَقَائِدُهُ جُمُوعُهُمْ. وَقُتِلَ جُمُهورٌ ضَخْمٌ مِنَ الدَّبَى: وَهِيَ تِلْكَ النَّمَالُ الصَّغِيرَاتُ، الْعَزِيزَاتُ عَلَيْنَا، كَمَا هَلَكَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّماسِمِ، وَهُمْ إِخْوَتُنَا مِنَ النَّمَالِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَسَاتِينِ. وَلَمْ يَكُنْ لَهَا يَدٌ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الطَّاحِنَةِ، وَلَكِنَّهَا ذَهَبَتْ فَرِيسَةً بِلَا ثَمَنِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا، رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَهِيَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَنَارَ لَنَا مِنَ الشَّقَرَاوَاتِ الْجَائِرَاتِ، اللَّائِي بَغَيْنَ، وَاعْتَدَيْنَ عَلَيْنَا أَشْنَعَ اِعْتِدَاءٍ.

فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُجِيبَ دُعَاءَهَا، وَيَنْتَقِمَ لَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.»

فَوَجَمَتِ النَّمَالُ السُّودَاءُ، وَحَزْنَتْ لِمَصَارِعِ أَخَوَاتِهَا.

وَصَاحَتْ «أُمُّ مَارِزٍ» مُتَأَلِّمَةً: «لَقَدْ فَتَكَ بِنَا النَّمْلُ الْأَشْقَرُ فَتْكَاً ذَرِيعاً، وَفَجَعَنَا فِي أَعَزِّ صَوَاحِبِنَا، وَأَبْرَ صَدِيقَاتِنَا، وَأَكْرَمِ أَهْلِينَا عَلَيْنَا. وَلَقَدْ أَثَارَهَا عَلَيْنَا غَارَةٌ شَعْوَاءُ، وَذَبَحَ مِنَ السُّودَاوَاتِ عَدَدًا لَا يُحْصَى، وَلَمْ يَبْقَ فِي غُرْفِ الْمُرِّيَّاتِ أَحَدٌ. فَلْنُشَيِّعْ قَتْلَانَا عَدَاً — فِي اِحْتِفَالٍ مَهِيبٍ — إِلَى مَقْبَرَتِنَا الَّتِي خَلْفَ السِّيَاحِ.»

وَلَمَّا أَتَمَّتْ «أُمُّ مَارِزٍ» كَلَامَهَا، سَادَ الصَّمْتُ وَالْحُزْنُ، سَاعَةً مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ

انْبَعَثَتْ أَصْوَاتٌ — مِنْ أَرْجَاءِ الْقَاعَةِ — تَقُولُ: «اصْغَيْنَ إِلَى خِطَابِ أُمِّ مَشْغُولٍ!»

فَتَلَفَّتِ النَّمَالُ إِلَى «أُمِّ مَشْغُولٍ»، وَهِيَ نَمْلَةٌ عَامِلَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَقَدْ صَعِدَتْ عَلَى ظَهْرِ نَمْلَةٍ أُخْرَى لِتَسْمَعَ رَفِيقَاتِهَا صَوْتَهَا فِي وُضُوحٍ وَجَلَاءٍ.

وَأَرْهَفَتِ النَّمَالُ آذَانَهُنَّ لِسَمَاعِ مَا تَقُولُهُ «أُمِّ مَشْغُولٍ».

وَقَدْ أَنْشَأَتْ تَقُولُ: «أَبْنَائِي، وَبَنَاتِ أَخَوَاتِي، وَحَفَدَتِي الْأَعْرَاءُ: إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ لَنْ يُمَحَى مِنْ ذَاكِرَتِنَا، مَا حِينِنَا؛ فَهُوَ يَوْمٌ حُزْنٍ وَجَدَادٍ، وَقَدْ تَبَدَّلَ فِيهِ هَنَاؤُنَا شَقَاءً، وَانْقَلَبَ فَرَحُنَا تَرَحًّا.

وَلَقَدْ أَقْمَنَا رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ، فِي هَذَا الْوَادِي الْخَصِيبِ، وَقَضَيْنَا فِيهِ عَهْدًا سَعِيدًا، مَرَّ بِنَا كَمَا تَمَرُّ أَشْهُى الْأَحْلَامِ. ثُمَّ دَالَتْ دَوْلَتُنَا، وَرَمَانَا الدَّهْرُ — فِي هَذَا الْيَوْمِ الْأَسْوَدِ — بِفَاحِجِ الْخُطُوبِ وَالْمَحَنِ ... فَقَدْ رُزِنَا فِي بَنَاتِنَا الْعَزِيزَاتِ وَكُنَّ مَصْدَرِ سُرُورِنَا وَإِيْنَاسِنَا، وَمَرَادَ آمَالِنَا وَأَمَانِيْنَا.

لَقَدْ قَضَيْنَا الصَّبَاحَ فِي مَرَحٍ وَسُرُورٍ، فِي هَذَا الْوَادِي الْجَمِيلِ، الْحَبِيبِ إِلَى الْقُلُوبِ، وَهَا نَحْنُ أَوْلَاءُ: نَقْضِي الْمَسَاءَ حَزِينَاتٍ، مُوجِعَاتٍ مُقَرَّحَاتِ الْعُيُونِ.

لَقَدْ أَغَارَتِ الشَّقَرَاوَاتُ عَلَى دِيَارِنَا، وَانْتَهَبْنَ مَا تَرَكْنَا، مِنْ بَيْضٍ وَأَطْفَالٍ أَعْرَاءٍ عَلَيْنَا، هُمْ مَنَاطُ آمَالِنَا وَمَعْقَدُ رَجَائِنَا، وَاتَّخَذْنَهُنَّ عَيْدًا لِهِنَّ وَأَرْقَاءَ، لِيُوَدِّينَ — فِي قَرِيَّةِ الْأَعْدَاءِ — أَعْمَالَ الْخَدَمِ وَالْعَبِيدِ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ أَمَلٍ فِي عَوْدَةِ أَبْنَائِنَا بَعْدَ الْيَوْمِ!...

فَبَكَتْ بَنَاتُ «الشَّيْصَبَانِ» جَمِيعًا، حِينَ سَمِعْنَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الدَّامِيَّةَ ...

وَصَمَّتْ «أُمُّ مَشْغُولٍ» لَحَظَاتٍ يَسِيرَةً، ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ، قَائِلَةً: «لَيْسَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَدْهَمُنَا فِيهَا أَوْلَئِكَ الْأَعْدَاءُ. بَلْ هِيَ الْمَرَّةُ الثَّالِثَةُ، فِيمَا أَعْلَمُ. فَقَدْ أَلْفَتِ الشَّقَرَاوَاتُ الْخَبِيثَاتُ أَنْ يُغَرْنَ عَلَى وَادِينَا وَيَنْتَهَبْنَ أَسْلَابِنَا؛ وَيُخَرِّبْنَ بُيُوتَنَا، وَيَسْتَعِيدُنَ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا.

فَمَا حِيلَتُنَا الْآنَ؟ لَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ إِلَّا أَنْ نُصْلِحَ مَا خَرَّبَتْهُ الشَّقَرَاوَاتُ مِنْ قَرِيَّتِنَا، وَ ...»

فَانْبَعَثَ صَوْتُ ضَعِيفٍ، مِنْ آخِرِ الْقَاعَةِ، يَقُولُ: «عُذْرًا — يَا سَيِّدَتِي أُمِّ مَشْغُولٍ

— وَاغْفِرِي لِي مُقَاطَعَتِي إِيَّاكِ!

لَقَدْ تَهَدَّمْ نِصْفُ بَيْنِنَا، وَيُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّنا غَيْرُ آمِنِينَ عَلَى حَيَاتِنَا، وَحَيَاةِ ذُرَارِينَا. وَلَنْ نَشْعُرَ بِطُمَأْنِينَةٍ فِي هَذَا الْوَادِي، فَقَدْ أَلْفَتِ الشَّقَرَاوَاتُ أَنْ يُغَرْنَ عَلَيْهِ، وَيُفَاجِئُنَا

بِأَحْدَاثِهِنَّ، بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ. أَلَا يَجْدُرُ بِنَا — إِذَنْ — أَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ، نَتَّخِذُهُ مَقَرًّا لَنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْوَادِي؟
فَصَاحَتِ النَّمَالُ — كُلُّهَا — قَائِلَةً: «لَقَدْ أَحْسَنْتِ وَأَصَبْتَ، وَبِفَصْلِ الْخِطَابِ نَطَقْتَ!»

(٢٦) فِي الْوَادِي الْجَدِيدِ

فَنَهَضَتْ «أُمُّ مَازِنَ» قَائِلَةً: «لَقَدْ اهْتَدَيْتُ — فِي هَذَا الصَّبَاحِ — إِلَى وَادٍ خَصِيبٍ، فِي مَوْقِعٍ بَدِيعٍ، لَا يَبْعُدُ عَنَّا كَثِيرًا، وَهُوَ فِي آخِرِ غَابَةِ صَغِيرَةٍ، وَأَرْضُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ طِينِيَّةٌ رَطْبَةٌ، فَهِيَ أَصْلَحُ الْمَوَادِّ لِبِنَاءِ جُذُرَانِ بَيُوتِنَا؛ لَأَنَّهَا قَوِيَّةٌ لَا تَهْدُهَا الرِّيحُ. وَنَحْنُ — الْآنَ — فِي فَصْلِ الْبَرْقُوقِ، وَلَدَيْنَا مُنْسَعٌ مِنَ الْوَقْتِ، لِتَشْيِيدِ دُورِنَا، قَبْلَ حُلُولِ فَصْلِ الشِّتَاءِ.»

فَانْبَعَثَتْ أَصْوَاتُ عِدَّةٍ، قَائِلَةً: «لَقَدْ أَصَبْتَ فِي اقْتِرَاحِكَ، «يَا أُمُّ مَازِنَ»، وَنَحْنُ عَلَى رَأْيِكَ فِيمَا تَقَرَّرَيْنَ.»

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ «أُمُّ مَشْغُولٍ»: «مَا دَامَ اقْتِرَاحُ أُمِّ مَازِنَ» قَدْ لَقِيَ مِنْكُمْ قَبُولًا حَسَنًا، فَإِنِّي أَنْصَحُكُمْ أَلَّا تُضِيعَ شَيْئًا مِنَ الْوَقْتِ، فِيمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ.

وَأَرَى أَنْ تَذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ مَعَ «أُمِّ مَازِنَ» فِي صَبَاحِ الْغَدِ، عِنْدَمَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ، وَتَبْلُلُ الْمُرُوجَ بِالْمَنْدَى، لِتَتَعَرَّفَنَّ مَوْقِعَ الْوَادِي الْجَدِيدِ.

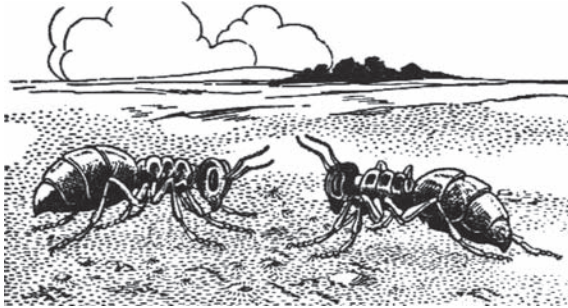
وَلَا يَفُوتُكُمْ — أَيُّهَا الْعَزِيزَاتُ — أَنَّ بِنَاءَ بَيْتِ النَّمْلِ لَيْسَ مِنَ الْهِنَاتِ الْهَيِّنَاتِ. فَهَلْ عَرَفْتُنَّ مَاذَا يَجْدُرُ بِكُمْ أَنْ تَعْمَلْنَهُ، مُنْذُ الْآنَ؟

فَتَقَدَّمَتْ «أُمُّ نَوْبَةَ» إِلَى وَسَطِ الْقَاعَةِ، ثُمَّ قَالَتْ: «إِنِّي أَعْلَمُ ذَلِكَ حَقَّ الْعِلْمِ، فَإِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَيْنَا، هُوَ أَنْ نَحْفَرَ فِي الْأَرْضِ حُفْرًا وَاسِعَةً، حَيْثُ نُنْشِئُ الْغُرْفَ، وَنُشِيدُ الْأَرْوَقَةَ.»

فَقَالَتْ «أُمُّ مَشْغُولٍ»: «صَدَقْتَ، يَا «أُمُّ نَوْبَةَ».

فَهَلْ وَعَيْتُنَّ ذَلِكَ، أَيُّهَا الصَّغِيرَاتُ الْعَزِيزَاتُ؟

وَلَا يَفُوتُكُنَّ أَنْ تُنْشِئْنَ — فِي بَيْتِنَا الْجَدِيدِ — حُجَرَاتٍ لِتَرْبِيَةِ الْأَطْفَالِ، عَلَى غِرَارِ
الْحُجَرَاتِ الَّتِي أَنْشَأْنَاهَا فِي بَيْتِنَا الْقَدِيمِ. وَلَيْكُنْ فِيهِ قَاعَةٌ كَبِيرَةٌ لِلِاجْتِمَاعِ.»
فَقَالَتْ «أُمُّ نَوْبَةَ»: «نَعَمْ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُشِيدَ الْقَرْيَةَ الْجَدِيدَةَ، عَلَى نَسْقِ تِلْكَ
الْقَرْيَةِ الْقَدِيمَةِ، فَتُجْعَلَ فِيهَا تَعَارِيَجٌ تُعَوِّقُ سَيْرَ الْمَطَرِ عَنْ دُخُولِ الْقَرْيَةِ وَنُشِيدَ
طَابَقَيْنِ، وَاحِدًا فَوْقَ الْآخَرِ، حَتَّى نَأْمَنَ عَلَى مَا نَدَّخَرُهُ فِي قَرْيَتِنَا مِنَ الْبَلَلِ، وَنُشِيدَ
فِيهَا مَنَازِلَ وَدِهَالِيَزَ وَحُجَرَاتٍ مُعَلَّقَةً، لِنَمْلَأَهَا حُبُوبًا وَدَخَائِرَ، لِفَصْلِ الشِّتَاءِ الْقَادِمِ.»
فَقَالَتْ «أُمُّ مَشْغُولٍ»: «لَقَدْ وَهَبَنَا اللَّهُ — سُبْحَانَهُ — آلَاتٍ ثَمِينَةً، لِأَدَاءِ هَذِهِ
الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ فَلْتَحْفَظْ كُلُّ وَاحِدَةٍ — مِنْكُنَّ — أَرْضَ الْقَرْيَةِ الْجَدِيدَةِ، بِقَوَائِمِهَا
السَّتِّ، وَلَا تَضَعْنَ شَيْئًا مِنْ أَوْقَاتِكُنَّ عَبَثًا.»



فَصَاحَ شَبَابُ النَّمْلِ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَكَ، يَا «أُمُّ مَشْغُولٍ»!»

(٢٧) خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ



ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ «أُمُّ مَشْغُولٍ» قَائِلَةً: «لَقَدْ حَانَ وَقْتُ التَّفَرُّقِ، بَعْدَ أَنْ جَنَّ اللَّيْلُ، وَبَقِيََتْ لِي كَلِمَةٌ، أَفْضِي بِهَا إِلَيْكَ، قَبْلَ أَنْ يَنْفَضَّ هَذَا الْجَمْعُ الْحَاشِدُ: لَقَدْ كَانَتْ فِكْرَةُ الْهَجْرَةِ، مِنْ اقْتِرَاحِ «أُمِّ مَازِنَ»: تِلْكَ النَّمْلَةِ الصَّغِيرَةِ، الَّتِي فَاقَتْ — عَلَى صِغَرِهَا — كُلَّ نِمَالِ الْقَرْيَةِ ذِكَاءً.

وَعِنْدِي أَنَّهَا جَدِيرَةٌ أَنْ تُصْبِحَ مُهَنْدِسَةَ الْبَيْتِ، وَمُدِيرَةَ الْعَمَلِ فِي إِنْشَائِهِ، فَمَاذَا تَرَيْنَ فِي هَذَا، يَا بَنَاتِ الشَّيْصَبَانِ.»

فَصَاحَتِ النَّمَالُ كُلُّهَا، وَهِيَ ذَاهِبَةٌ إِلَى غُرَفَاتِ النَّوْمِ: «أَصَبْتُ، يَا أُمُّ مَشْغُولٍ»، وَوَقَّفَتْ إِلَى الصَّوَابِ، وَالْهَمَّتِ الرُّشْدَ وَالسَّدَادَ. فَلْتَحَيَّ «أُمُّ مَازِنَ»! فَلْتَحَيَّ «أُمُّ مَازِنَ»!.

إلمامة بالنمل

«قبسنا هذا المقال النفيس من دائرة المعارف الفرنسية، ليكون مرجعاً للمدرس في تدريس قصة «أم مازن».

خواص النمل

النمل حشرات صغيرة من الفصيلة المجنحة، وهو اجتماعي، شديد الألفة بطبعه، ومتى استثنينا منه أنواعاً قليلة شاذة، رأينا سواده يخضع لهذا القانون العام، وتنطبق عليه هذه الصفات.

وتألف كل جماعة من النمل عادة من أنواع ثلاثة: النمل العامل، والذكور، والإناث المجنحة. تتلخص صفاته وخواصه العامة فيما يلي: وجسم مستطيل يتفاوت طولاً وقصرًا، ولون غامق يتألف من أصفر وأحمر وأسمر وأسود، أو مزيج من هذه الألوان كلها أو بعضها بنسب متفاوتة.

أما رأس النمل فهو يختلف تبعًا لاختلاف أنواعه وفصائله، وهو قطعة مفصلية، ذات فتحتين، إحداها: فتحة صغيرة، عند نقطة اتصال الرأس بالظهر، وتسمى: الفتحة الخلفية. والثانية من الأمام، وهي فم النملة، وبها فكان قويان، يتألف منهما — على الأغلب الأعم — شكل مثلث. وكلاهما محدد تشبه حافته الداخلية حد المنشار. ولهذين الفكين — عند النمل — شأن أي شأن، فهما عظيمَا الخطر، لأنهما سلاحه القوي، وعتاده الثمين الذي يستعين به على العمل، فهو يستخدمه كما نستخدم المنشار والمقص والكماشة، لنزع الأشياء وتمزيقها، وكما نستخدم اليدين في حمل الأثقال وما إلى ذلك. وليس من عمل الفكين مضغ الأغذية، فإن النمل لا

يتغذى بغير المواد السائلة أو شبه السائلة، وليس في قدرته أن يزدرد طعامه — كما نفعل — ولهذا نرى أن هذين الفكين يؤديان أعمالاً أخرى — كما أسلفنا — غير المضغ.

أجسام النمل

وعيون النمل منحنية، وقلماً تكون مستديرة، أو منتظمة أي انتظام. وعيونه الملس على شكل مثلث عند الذكور والإناث. ويندر أن نراه عند العاملات التي لا تكاد ترى في رأسها — أحياناً — غير واحدة في منتصف جبهتها. أما قرونها الناتئة، فهي متحركة إلى انحناء، تتركز على الحافة الداخلية لشرابين الجبهة.

ولا توجد الأجنحة إلا عند ذكور النمل وعذاراه. وبطنه منقسم إلى سبع حلقات للذكور، وست للإناث والعاملات. وتنتهي كل رجل من أرجل النمل بخمسة أجزاء، في آخر جزء منها إبرتان بسيطتان محددتان، يفصلهما شعر قصير كثيف. ويتميز النمل المجنح، الذكر عن الأنثى، ببطنه ذي السبعة مفاصل، ورأسه الصغير الكروي ذي العيون الملس. وللإناث أجنحة كذلك. ولكنها تزايلها بعد الإخصاب، سواء اجتثتها بنفسها، أو انتزعتها منها العاملات.

وتمتاز النمل العاملة بتجردها من الأجنحة، وتشترك الإناث في أن في طرف بطنها غدتين سميتين، تفرزان حمض النمليك. وبعضها مسلح بإبر ملس أو محددة، ينبعث منها السم في الجرح الذي تحدثه. وقلماً توجد هذه الإبرة عند جمهرة كبيرة من النمل الأخرى. فإذا وجدت فهي بسيطة تافهة لا خطر لها، وإن كانت تنفث السم إلى مسافة بعينها، متى لمست النملة عدوها بطرف بطنها.

طوائف النمل

وفي كل وادٍ من وديان النمل نرى العاملات أكثر ما في الوادي عددًا، بالقياس إلى الذكور والإناث التي لا تلتقي معاً إلا في فترات بعينها من السنة، مع استثناء الإناث المخصبات من هذه القاعدة. وثمة فرق كبير بين النمل في أجسامهن. فقد يدق بعضها، ويصغر جسمه، ويتناهى رأسه في الضالة بالقياس إلى جسمه، بينما يكبر جسم بعض النمل الأخرى، ويضخم رأسه، ليتناسب مع حجم جسمه.

وفي وادي النمل تختلف أعمال العاملات وأعباؤها، فينشط ببعضها بناء الغرف والأجحر، وينشط بالبعض الآخر تربية الديدان الصغيرة، وما إلى ذلك من الأعمال. أما النمل الكبيرة الرأس، فإن لها قروناً قوية، ومن سوادها يتألف جيش النمل الذي يحمي الوادي من غارة المعتدين. وقد أطلق على هذه الفئة من النمل اسم: الجنود. وهي تقوم بحروب وانتصارات رائعة على أعدائها، وتأتي بالأسرى إلى واديهما فتستعبدنها، وترهقها بكل ما تحتاج إليه في واديهما من الأعمال. ويختلف النظام الغذائي للنمل، سواء في ذلك الأطفال الناشئون والشيوخ الفانون، اختلافاً عظيماً. ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا أفراد غاية في الندرة، لا تباي أن تأكل ما تلقاه في طريقها من الأعشاب والمواد الحيوانية. ومهما يكن من أمر، فإن فم النملة — بطبيعة تكوينه — لا يسمح لها أن تتغذى بغير الأطعمة السائلة — أو نصف السائلة — التي تلغقها، أو تمر عليها لسانها حتى تلينها، وثمة لا تستطيع أن تأكل الأطعمة الجامدة. وقصارى ما تفعله بها أن تمزقها بفكيها، ثم تمتص ما تحتويه — في أثنائها — من عصير. أما أشهى غذاء تؤثره النمل، فهو أحشاء القنائص ذات العصير، واللحوم الطرية، ورحيق الأزهار، ولب الفواكه الناضجة المشققة، والمواد العسلية واللزجة، والأشربة، والسكر على اختلاف أنواعه، وما إلى ذلك من ألوان الأغذية.

مزايا النمل

ولقد لفتت مزايا النمل — منذ أقدم العصور — جميع الباحثين الذين عنوا بدراسة الحيوان والحشرات، واسترعت انتباههم، وآية ذلك ما ورد في الأقوال المأثورة عن الأنبياء والفلاسفة الأقدمين في العصور الغابرة السحيقة، فقد تجلّى إعجابهم بمزايا النمل، وإكبارهم مواهبه وافتتانهم بمثابرته وجلده، وقدرته على العمل، وذكائه، وما ألهمه من تعرف بعضه بعضاً، وتبصره وبراعته في دقائق الهندسة، واضطلاعه بجلائل الأعمال.

وقد نوّه «شيشرون» — في العام السادس بعد المائة قبل الميلاد — بهذه الميزات الباهرة، وسار على منهاجه كثير من العلماء، وأقنعتهم بهذه الحقائق بحوثهم الصادقة الموثوق بها، وتجاربههم التي أجروها في القرون المتعاقبة، حتى أصبحت اليوم نؤمن بصدق هذه المزايا إيماناً وثيقاً لا يتسرب إليه الشك، ونكبر ذكاء النملة

وذاكرتها العجيبة. التي تهديها إلى تعرف بعضها بعضاً، وتبادل المراسلات فيما بينها، والتكاتف على أداء الواجبات والفروض المشتركة التي تضطلع بها جميعاً.

مساكن النمل

وتعيش أسراب النمل كلها — إذا استثنينا منها بعض شواذ نادرة — في مساكن مشتركة، يطلق عليها اسم: وادي النمل، وهي — على الأغلب الأعم — مؤلفة من طبقات عدة، ذات أروقة، وغرف للتهوية، وغرف للفقس وتربية البيض والعدارى، وفي بعض الأحيان ترى فيها مخازن للزاد.

وقد قرر أحد العلماء عام ١٨٨٥ في كتابه عن النمل، ما يلي:

إن فن النمل — في بناء مساكنها — يختلف باختلاف أجناسها، فإن لكل نوع بعينه طريقة بعينها، في بناء بيته وتنسيقه. وتستطيع العين المجردة دائماً أن تميز النملة العاملة، التي تحفر الغرف والأروقة والمساكن. ومما يسترعي الانتباه: شخصية المهندس الذكي من النمل، وطرائقه في هندسة البيوت، وهي تخالف طرائق اليعاسيب والنحل في بناء خلاياها. فإن مهندسي النمل لا تعمل بالمثلث والبيكار، ولا تعنى بقياس الخطوط المستقيمة والزوايا. بل هي تعتمد إلى مسامرة ميلها وإلهامها، والاستسلام لغريزتها وابتكارها. وهي ترتجل — من فورها — نظام البيت الذي تسكنه، وتنشئه مبتدعاً على غير نهج مرسوم، أو خطة بعينها، أو هندسة مقررة. وثمة نرى غرفها وأروقتها ودهاليزها وسرايبيها كثيرة التنوع، مختلفة الأوضاع، متباينة الأشكال. ولكن مجموع البناء، على اختلاف طرائقه وخططه، مطبوع على الدقة والتناسق. وهو ينم — في كل أوضاعه — على عبقرية مبتكره، وحذقهم في الهندسة، وتفننهم في أساليبها.

وإن دهشتك لتشتد، ويتعاضمك العجب، حين تنعم النظر في أساليب العاملات الصغيرات في بناء البيوت، واستعدادها الداخلي، وتنوع الطرق والمعدات التي تلجأ إليها؛ إذ تحفر أروقتها تحت الأرض، وتوصلها بسطحها عند فتحة تعينها، أو عدة فتحات. وقد تنتهز فرصة ساحة لبناء واديها تحت صخرة منبسطة تتحصن بها.

وربما أنشأت على بيتها قبة أو تلة أو ربوة مكونة من مواد مختلفة، كالحشائش اليابسة وأعشاب النبات وسوقه، وما إلى ذلك.

ومن النمل ما يحفر الخشب، أو ينقشه، ويهيئ غرفه! بعد أن يصنع عجينة يستعملها في تنفيذ أغراضه، وربما عمدت النمل إلى اتخاذ بيتها بين الأخاديد أو الأعشاب المرتفعة، أو في ثنايا أوراق الشجر الكثيفة الملتفة، أو ثقب الأشجار وفجواتها الطبيعية، وما إلى ذلك. وقد يصل ارتفاع التلال والكتبان التي تأوي إليها النمل، وتتخذ فيها بيوتها، إلى علو متر أو مترين، من القطر إلى القاعدة. وربما شيدت مرتفعات متماثلة — وإن لم تكن في مثل هذا العلو — على طول الطريق أو موازية لسياج طويل من الأعشاب. وقد تنشئ مساكنها في ثنايا الصخور المشقوقة وأسوار المنازل، وربما أنشأتها داخل البيوت، أو في ثقب الخشب، أو في جذوع الأشجار القديمة.

تلاقح النمل

وفي زمن بعينه من كل عام — يختلف تبعاً لاختلاف أنواع النمل — يخرج الذكور من واديهم جماهير وطوائف، وتخرج الإناث متهيات للإخصاب في ذلك الوقت. فيطير الذكور في أثرها، ويلتقي الفريقان في الجو، ويتم هذا التلاقح — عادة — في وقت حار.

ومتى كان الذكر أكبر من الأنثى بكثير، لجأ إلى الإخصاب في الهواء حيث تحمله الأنثى على ظهرها. فإذا تناسب جسمه وجسمها، فإنه يقبض عليها، وهي طائرة، ثم تتم عملية الإخصاب على الأرض. ولا تلبث عملية التلقيح — عادة — إلا بضع دقائق. ثم يأتي ذكر آخر فيلقح الأنثى نفسها مرة أخرى. ومهما يكن من أمر، فإن الذكور — بعد أن تتم تلقيح الإناث — تظل هائمة، تعتسف الطريق على غير هدى، وقد امتلأت نفسها يأساً، وأحست — في أعماق نفسها — أنها قد أصبحت متبذلة، عديمة الجدوى. ثم لا تلبث أن يقتلها الغم والأسى، أو تلتهمها الطيور وسباع الحشرات!

أما الإناث فتتهوي إلى الأرض — بعد أن تتم عملية الإخصاب — وتقطع أجنحتها الضعيفة، ثم تذهب النمل العاملة بحثاً عن هذه الإناث، فتجمعها ذاهبة بها إلى واديها الذي خرجت منه.

وإذا رأينا في عالم النحل ملكة واحدة مخصصة، فإننا نرى — على العكس من ذلك — في وادي النمل كثيراً من الإناث المخصبات، في وقت واحد، ومكان واحد. وهي تعيش جميعاً على أتم وفاق وأسعد عيش، وتقوم العاملات بخدمتهن والعناية بأمرهن، من غير أن تميز واحدة منهن على الأخرى. وتظل النملة — بعد عملية التلقيح — مخصصة طول حياتها، فلا تحتاج إلى تلقيح الذكور مرة أخرى. وتظل ثماني سنوات أو تسعاً وهي قادرة على البيض، دائبة على تنمية عدد المواليد في قرية النمل بلا انقطاع.

أما بيض النمل فهو يماثل — عند وضعه — حبوباً طويلة بيضاً، أو صفراً، أو غامقة اللون، ومتى وضعته الإناث المخصبات جاءت العاملات فجمعتة ورتبته أكواماً صغيرة. ولا تفتأ تلعبه، حتى يكبر حجم البيض — بفضل عنايتها — ويشف لونه، ثم يفقس، فتخرج من كل بيضة دودة. وهذه الديدان مختلفة الأشكال تبعاً لأنواعها. ولكنها — على تباين أجناسها — عمي بيض، في جسم كل منها اثنا عشر حزاً، تبدو للفاحص المتأمل، ورأسها أصغر من جسمها بكثير، وهو مائل إلى الأمام. أما قسمها الأعلى، فهو ضيق مقوس ينتهي بطرف دقيق. وأما أسفل جسمها، فهو مستدير منتفخ قليلاً. وليس في استطاعة هذه الديدان أن تتغذى إلا إذا تعهدتها العاملات بالغذاء، ونفثت في أفواهها عصيراً مغذياً مما تدخره في بيوتها لهذه الذراري الناشئة.

ولا تقتصر العاملات على هذا القدر من العناية، بل تزيد عليها، فتعنى بتنظيف هذه الديدان، ونقلها من مكان إلى آخر في أرجاء الوادي، في الأوقات المختلفة من النهار، لتقيها غوائل البرد والرطوبة، وتعرضها لأشعة الشمس الحارة التي تكسب أجسادها الحياة والقوة.

ومتى اجتازت الديدان دور النمو، استحالت إلى عذارى. ولن تتم هذا الدور قبل أن تنقضي عليها فترة تتفاوت بين شهر وتسعة أشهر. فإذا تم نمائها ظهر جسمها عارياً، أو ملفوفاً في قشرة حريرية. تحوي — في أثنائها — تلك الحشرات كاملة.

جماعات النمل

وجماعات النمل — في أغلب حالاتها — جماعات بسيطة مؤلفة من أفراد متماثلين. وربما رأيت أفراداً من النمل متبطلين لا صناعة لهم، ولا عمل يشغلهم، وليس في قدرتهم أن يسهموا — مع أبناء جنسهم — في الاضطلاع بعبء من الأعباء، فهم لا يكلفون أنفسهم عناء البناء أو تعهد الديدان بالتربية. وقد يشتد بهم العجز والقصور، حتى يعجزوا عن تغذية أنفسهم. وثمة نشأت حاجتهم إلى مساعدات وخادmates يقمن بأداء الأعمال المنزلية في وادي النمل ومساكنه. وقد حفزت هذه الحاجة الشديدة الملحة إلى الإغارة، لجلب الأسرى واستعباد الأرقاء. وهي لا تألو — في سبيل ذلك — جهداً، وتعنف وتشتد في تحقيق رغباتها. فتستولي على العذارى، وتغير على الديدان التي لم تخرج بعد من غلافها، فتنتقلها إلى مساكنها. ولا يلبث النمل الصغير أن يخرج من قشوره، ثم يصبح طوع إرادة سادته المغيرين، ويلبي أوامره ورغباتهم بلا تردد، من غير أن يعرف أنه قد قسم له أن يكون فريسة اعتداء الجائرين، وجشع المستبدين.

وهذه الطائفة من الجماعات النملية الغربية، يروي لنا التاريخ عنها غرائب خطيرة، ويحدثنا عن عجائب البيوغرافية النملية التي تبده الباحثين الذين يطلقون عليها «جماعات النمل المختلطة». وإنما أسموها كذلك، لأنها مؤلفة من الرؤساء وأتباعهم من الأرقاء المستعبدين، حيث يعيشون في واديهما على أتم وفاق.

وترى في ذلك الوادي — عادة — نملة أو جمهرة من النمل المخصبات. وإلى جانبهن العاملات، فإذا حان فصل النتاج رأيت النمل المخصبة من الجنسين كليهما. أما النمل التابعة المستعبدة، فليست على الحقيقة — إلا عاملات، لا هم لها إلا خدمة النوع، والتفاني في أداء ما تحتمة المصلحة، وتوجيه نشاطها ومهارتها إلى خير هذه المستعمرة، وخدمة الجماعات النملية، دون أن يكون لها، في ذلك كله أي نفع ذاتي تصيبه من هذه الجماعة.

وللنمل صلات وثيقة ببعض الحشرات. سواء منها ما يعيش في واديه، وما يذهب النمل للبحث عنه في خارج الوادي، ولعل أحب تلك الحشرات الخارجية إلى نفسه، هي البراغيث، التي يمتص النمل من أجسادها سائلاً سكرياً، يرى فيه أشهى طعام يحبه ويؤثره على كل غذاء!

آراء بعض الباحثين

ويقول بعض الباحثين الثقات: إن النمل لا يخزن مؤونة له، وإنه يهلك في أوقات البرد القارس أو ينتفخ، ويقرر آخرون من الحكماء عكس هذا، وقد وصفوا هذه الحشرة — منذ أقدم العصور السحيقة — بأنها رمز التبصر، ومثال الادخار. وفي هذا الكلام تناقض في ظاهره، وإن كان من السهل على الباحث أن يوفق بين هذه النقاظ، ويوائم بينها، لاختلاف أنواع النمل وأجناسه، فإن ما يصدق على فئة بعينها من النمل، لا يصدق على غيرها من الأنواع. فليس من سبيل إلى الشك في أن نمال المناطق القطبية والمناطق المعتدلة، تخالف نمال المناطق الحارة أشد الاختلاف. وإن الباحث المتأمل في طبائع النمل ليجد — على الحقيقة — أنواعاً منه تسمى: «النمال الحاصدة». وهي قادرة على تحمل البرد القارس، والسعي إلى رزقها، وجلب مؤونتها في الشتاء، كما يرى ذلك في جنوب أوروبا. فإن هناك نوعين، يكديسان في نهاية الوادي ما يديرانه من الزاد، في غرف خاصة، تحوي من الحبوب والغلل والنباتات شيئاً كثيراً. وربما وجد فيها كثير من جني الحقول والحدائق، لتكون زاداً للنمل عند الحاجة.

النمل والحرارة

وقد كتب أحد العلماء أن أول ما يمتاز به النمل — من الوجهة الجغرافية — اتساع مساكنه، وتعدد جماعاته، وتنوع فرقته. وأن النمل يكثر تبعاً لاشتداد الحرارة. فكلما دنوت من خط الاستواء، رأيت ازدياد أنواعه، حتى لتبلغ في المنطقة الحارة أقصى حد. ولا تكاد تصل إلى الدرجة الخامسة والستين من خطوط العرض، حتى تختفي أنواع النمال قاطبة.

وقد اهتمدى الباحثون إلى نحو ألفي نوع من النمال منها زهاء مائة وعشرين تقريباً، وتعيش في أوروبا.

أما أقدم نوع عرف من النمال، فهو النملة الشقراء، وهي لا تكاد تعرف موطناً لها إلا في الغابات الكبيرة. وهذه النملة جريئة مشاكسة، ميالة بطبعها إلى الخصومة واللدد، مغرمة بالعداء والحرب. وهي تقذف بسهما إلى مسافة بعيدة، تبلغ ستين سنميترًا ارتفاعاً.

وثمة نوع آخر غريب منها، يستولي على وديان النمل، بعد أن يطرد ساكنيها. وهناك نمل أخرى تعيش في جوف الأرض، ولا يكاد يعرف عن طبائعها شيء. وهناك نوع من النمل، يعيش في إفريقية الاستوائية الغربية (سيراليون والكامبوجا وما يجاورهما من الأصقاع). وهي عمي تتحاشى ضوء النهار، وتكثر من الرحلات، ولا تتخذ لها مقامًا ثابتًا، وكلما نزلت مكانًا، أو حلت محلة، حفرت لها موئلًا تحت الأرض بسرعة نادرة. وهي لا تمشي إلا في الأيام الغائمة، التي لا تطلع فيها شمس، أو في الأمسيات والليالي. وتؤلف، في أثناء سيرها، كئائب هائلة، ولا يصدها عن غايتها أي حائل، ولا تنهيه أي عقبة.

وهذه النمل هي مصدر من مصادر الرعب الذي يستولي على زنوج إفريقية من سكان تلك القرى. فإنها تضطربهم في أكثر الأحيان إلى مغادرة أكواخهم حين تغير عليهم. ولا يزالون يرقبون ابتعاد كتائبها بفارغ الصبر.

وهناك أنواع أخرى من النمل المنتشرة في جميع أنحاء العالم لا سيما في «فلوريدا» و«كلورادو» و«تكساس» و«المكسيك الجديدة» التي استرعت نظر «دارون» للمرة الأولى، في عام ١٨٦١، إذ نشر عنها أحد العلماء ملاحظاته العجيبة، ثم توالى الباحثون في درسها بعد ذلك.

وهذه الحشرات عجيبة حقًا، فهي تستطيع أن تزرع الأرض، وتبذر البذور وتحصد الزرع، وتزيل من حقلها كل نبات آخر، يعوق نمو تلك البذور.

نمل البرازيل

وهناك نمل مفترسة شتى، كثيرة الأنواع، تكثر في «البرازيل» و«جوانة» وجميع أرجاء «أمريكا الوسطى»، وهي رحالة، بأوسع ما تعنيه هذه الكلمة. فهي لا تقرر في مكان بعينه. وهي دائبة السفر من جهة إلى أخرى، فإذا مشت صارت صفوفًا متراسة. وربما أوفدت من كتائبها فرقة كشافة لتستطلع الأرجاء المجاورة، وتجوس خلالها وتفتش كل ثغرة فيها، وكل ورقة ساقطة، وكل عود من الحشائش. فإذا تم لها ما تريد، بدأت الغارة شاملة عامة، واقتحمت كتائب النمل كل ما يصادفها في طريقها، ومزقت ما يعترضها في سبيلها من الحشرات والعناكب والديدان، وربما فتكت أيضًا بصغار الثعابين.

فإذا اعترضها في طريقها منزل مأهول، اقتحمته كتيبة منها، فشردت سكانه كل مشرد، ولم يروا أمامهم إلا الفرار من هذا العدو الباطش المدمر. ومهما تحدثه هذه النمل القوية المتوحشة من أضرار، فإن ما ينجم عن إغارتها من الفوائد، ينسى السكان كل ما تكبده من خسائر وأضرار، فهي تفتك بالعقارب، والعناكب، والبعوض، والثعابين، والفأر، وما إلى ذلك من الحشرات الضارة، فتطهر المكان الذي تحل فيه تطهيراً. ولهذا يزعمون أن الأهلين — في بعض هذه الأقاليم — يرقبون إغارة هذه النمل عليهم بفارغ الصبر. ويعدون مقدمها — على ما فيه من أضرار — نعمة وبركة، وخيراً عميماً.

نمل العسل

وهناك نوع من النمل يعرف في بلاد «المكسيك» باسم: نمل العسل، وهو يعيش في وديانه: جماعات مؤلفة من الذكور والإناث والعاملات والعاملين. وبعضه يشبه — في مظهره — النمل العادي، والبعض الآخر يخالفه، لانتفاخ بطنه انتفاخاً شديداً، وإنما كان كذلك لإفراطه في الغذاء.

أما لون بطنه فهو شفاف عنبري، وهذا النوع بطيء الحركة، لا يكاد يتحرك من مكانه. فهو يظل جامداً ملتصقاً ببعضه ببعض تحت الأرض. وفي بطون هذه النمل شراب سكري، غير مبلور، يماثل طعمه العطري طعم عسل النحل، ويقبل الهنود المكسيك على هذا الشراب السكري، في شراهة عجيبة، ويتحلبونه في أفواههم، كأشهى غذاء، ويمزجون به بعض أطعمتهم لتكون من أفخر أنواع الحلوى.

محفوظات

النَّمْلَة

لَوْحٌ مُخْتَارٌ مِنْ كِتَابِ «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ»

انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ — فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ
الْبَصَرِ — كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا: تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى
مَسْكِنِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا.

تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوُفْقِهَا (طَاقَتِهَا وَكِفَايَتِهَا).

وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا وَفِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا (أَطْرَافِ الْأَضْلَاعِ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى الْبُطْنِ)، وَمَا فِي الرَّأْسِ: مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا. لَقَضَيْتَ — مِنْ خَلْقِهَا — عَجَبًا، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا.